القسم الأول

أخليجٌ عربي
أمْ خليجٌ فارسي ؟!

تساؤل مشوب بالمرارة موجَّه إلى الأستاذ محمد حسنين هيكل ، على وجه الخصوص ، وإلى مجموع المفكرين الناصريين العرب ، بشكلٍ عام ، ونقول متسائلين : متى يصحو الموقف السياسي الحق ؟ومتى نتبصر الأمور بشكل موضوعي ؟

٢٠١٢/١٢/٣٠م.

obeikandl.com

obeikandl.com

فذلكة لابد منها

لا شك أن القامة الفكرية والسياسية والأخلاقية التي يتمتع بها الأستاذ النبيه والوطني لمخلص ، و الصحفي العربي اللامع الأستاذ السيد محمد حسنين هيكل ، وخصوصاً عندما يبحث شؤون المستقبل العربي ، عبر تسليط الأضواء على الماضي السياسي للأمة العربية ، منذ القرنين الثامن والتاسع عشر ،[1] . . .لا شك أنها قامة رفيعة في عالم الكتابة السياسية ، والمحاضرات المثبوتة التي تكشف المحطات السياسية الأساسية لحياته العريضة ، وبحوثها الجمة الكثيرة مكتنزة بالمعلومات الوثائقية ، فضلاً عن كونها تحاول التدقيق في عمق الأحداث التي تأخذ منحى المنعطفات التاريخية وتفاصيل خلفياتها الموضوعية : أسبابها وتجلياتها المؤثرة في الواقع السياسي المصري والعربي .

وفي تصوري الشخصي ، كفرد يؤمن بالأمة العربية كمعطى تاريخي مشترك ، أنه يشكل في تكوينه المعرفي عقلاً جماعياً وكلياً وطاقة فكرية متميزة بالحضور

(١)كما يتجلى ذلك في كتابه الموسوعي ، والموثق ، والمعنون بحروب الثلاثين سنة : ملفات السويس، سنوات الغليان ، الانفجار ، حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، راجع خصوصاً كتاب حرب السويس ذاك ، الصادرة طبعته الأولى في العام ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م عن مركز الأهرام للترجمة والنشر ، وبالذات القسم الوثائقي المنشور على الصفحات ٦١٥ ـ ٩٢٣ . والجزء الأول من كتابه المعنون المفاوضات السرية بين إسرائيل والعرب : الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، الصادر عن دار الشروق ، الطبعة الثالثة ٣ / أبريل ١٩٩٦ ، القاهرة / مصر ، وكذلك : الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق.

المعنوي والإستنتاج السياسي الرصين ، والذي يتمتع ـ كذلك ـ بامتلاك حاسة التبصر [وفق المفهوم اللغوي] القومي الجاد والمخلص ، فضلاً عن أنه استطاع الاستفادة من تطور الأحداث الموضوعية بحكم ممارسته السياسية وعمره المعرفي الثقافي المديد ، وتلازم أقواله مع أفعاله في ممارسات عينية كثيرة .

بادئ ذي بدء ، علينا الاعتراف ، بأنَّ الوعي السياسي الكلي بحركة التاريخ العربي والإقليمي والعالمي ، وليس الأحداث المتفرقة في مدلولاتها ، والمعزولة الواحدة عن الأخرى في سياقاتها ، أو تصورها على أنها مجرد وقائع متتابعة حكمت طبيعتها السياسية وأنتجتها المصادفات ، بصدد تاريخ المنطقة العربية ، وما شهدته الأمة العربية من صراعات كونية ضد الأجنبي أو التي شنّها الأجنبي على أبنائها من أفراد الشعب العربي أو تكويناتهم المجتمعية ، وحضارتهم العربية والإسلامية الماثلة في الواقع التاريخي الملموس وليس المبني على تجريد نظري مدرسي باهت أو المتكونة وفق تصورات أيديولوجية ، هي المعيار في التقويم والتحديد والتقرير .

سواء أكانت تلك الحوادث أو الغزوات في الماضي الفارسي أو البيزنطي أو المغولي في المراحل التاريخية القديمة ، أو العثماني / التتريكي ، خصوصاً ، خلال مراحله الأخيرة في أوائل سنوات القرن العشرين التي أعقبت تسلط جمعية الإتحاد والترقي ونزعتها العنصرية الطورانية ، التي من بين أبرز عناوين سلوكها السياسي: التتريك اللغوي والتتريك الوظيفي ، من ناحية ، أو تبلورت خلال العصر الحديث في القرنين الثامن عشر أو التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين : من خلال الحروب الغربية العدوانية التي قادتها كلٌ من بريطانية وفرنسا ، بشكل أساسي وعلى وجه التحديد ، علاوة على بعض الدول الأوربية الأخرى من ذات النزوع العنصري أو الإستعماري ، بالتزامن أو التلازم مع الصعود الرأسمالي الأوروبي الإستعماري ، أو من قِبَل الحملات الحربية العدوانية التي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقود الأخيرة من ذلك القرن ، عبر إندفاعاتها السياسية

والعسكرية الإمبريالية / المتعولمة / التترية بهدف الإستغلال أو الاستيلاء ووراثة مناطق النفوذ للاستعمارين البريطاني والفرنسي ـ وكذلك في كل العالم ـ والتي تجرع الوطن العربي منغصات مخيفة وأساسية مختلفة منها ، وكذلك تشربت شعوب أقطار الوطن العربي مآسٍ متنوعة في مستوياتها ، واحدة إثر أخرى ، على خلفية تكوين إمبراطوريتها الغاشمة الجائرة .

لقد كان الوعي الفكري والسياسي للنزوع الغربي الإستعماري أشد وطأة على الوضع السياسي العربي وعموم أوضاع الأمة العربية جرّاء الصراع بينهما ، بحكم نسبة القوى المادية والتسليحية بين الأطراف السياسية والحضارية المتصارعة ، وتطور تقنية السلاح ذات القوة النيرانية الهائلة والتفجيرية العاتية والتدميرية العالية ، وإستعداد دول الغرب لوضع تلك التقنيات في خدمة خطها السياسي واستراتيجيتها العسكرية التي تخدم هدف سياسي محدد ، والعمل السري أو المكشوف ، المباشر أو غير المباشر ، لممارسة نتائج أبحاث تلك التقنيات المتطورة وتطبيقها على «الخصوم» وخصوصاً من العرب .

إنْ لم نقل منذ الحروب العدوانية للفرنجة على العرب والمسلمين خلال القرن العاشر الميلادي وما أعقبها ، والمعروفة تاريخياً بالنسبة للعرب بإسم «الحروب الصليبية»، وربما ما كان قد ساعدها على تمرير وإنجاح إستراتيجيتها في العصر الراهن هو السلوك السياسي للأنظمة العربية المتحررة والتي ثارت على هذا الغرب الإستعماري الذي نجم عنه ، تغييب الشعب العربي وبعض طلائعه المخلصة ، عن ميادين المعركة ضد تلك الحروب والغزوات ، وما يستبطن هذا التغييب من شطبٍ ملموس على فرص نيل مفاهيم العدالة والإنصاف الممكنين ـ وليس بمستوى الأماني والطموح ـ تجاه شعوب أقطار الوطن العربي .

والتاريخ على العموم، ليس حوادث متتابعة من دون روابط متحركة ، بل هو وقائع عملية متواصلة يؤدي الفعل السابق منه تأثيراته الجمّة على الوقائع اللاحقة ،

في توالٍ ربما كان متناغماً على خلفية الخطط السياسية المرسومة في وزارات الخارجية والعسكرية لدول العدوان. ونستطيع من خلالها المعاينة المدققة في الصورة السياسة [بالمعنى الفلسفي] الكلية لتاريخ المنطقة العربية، لمجمل التطورات السياسية الموضوعية بما يمكننا من رؤية ملابسات الوضع السياسي القائم آنئذٍ، بهدف توقع إتجاه التطورات العامة المحتملة التي ستصيب بقعة جغرافية محددة وتجُس نبض واقع إجتماعي ماثل في رصدٍ لسؤال وجواب، حول عما إذا كانت أفعالنا قدّمت أو أنها كانت ستخدم أفعال قوى العدوان المتجمعة لكي تحكم ممارسات صناعة الموت أو الإستيلاء على مناطقنا!.

إنّ البحث في سيرورات التاريخ المتعاقبة أو دراستها المدققة والمتبصرة تسـ«تهدف الكشف عن الماضي كما هو حقيقته»[1]، من أجل استكناه قوانينه الداخلية أو أسبابها المسيِّرة لأي فعل موضوعي والمولدة للظرف الجديد. وهكذا دواليك. وهو الأمر الذي يتطلب الدراسة الموضوعية أساساً، بتعبير آخر ـ ووفق ما يقول به الأستاذ كمال فهمي ـ «بناء موضوعه بدقة، ودراسته موضوعياً، أي بإستبعاد الذاتية أو على الأقل التحكم فيها»، فضلاً عن الإستعانة بـ«الآثار والوثائق» وتوفير منهج «نقدي» للتعاطي مع معطياتهما المحلية والعالمية، بغرض بناء التصورات للـ«واقعة التاريخية»[2]، وأسباب حدوثها ومسبِّبات وقوعها، بحيث يستقيم التأويل ويتسق التفسير وينسجم مع التطورات السياسية الموضوعية المرئية أو السرية بالقدر الممكن.

فالإنسان المفكِّر والمسؤول في صدقيته مع نفسه ومع الآخرين، والمهتم بالشؤون السياسية لوطنه وأمته، يحاول جاهداً التحري الرصين عن منطق التاريخ الحقيقي، وسيرورة إتجاهاته المستقبلية، مع توفر المحددات للكتلة الإجتماعية

(١) راجع كتاب الأستاذ كمال فهمي المعنون مفاهيم فلسفية، الطبعة الأولى الصادرة عام ٢٠٠٩ الصادرة عن مطبعة النجاح الجديدة ـ دار البيضاء، المملكة المغربية، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

التي تمارسه ، عبر معاينة متبصرة لـ«العوامل المحركة لصيرورته التاريخية» [1]، آخذين في الإعتبار شرطاً فكرياً وسياسياً تكوينياً ، قوامه ضرورة توفر الوعي السياسي الكلي والمسبق بـ«الوضع الإجتماعي المحدد زمانياً ومكانياً» ، كون كل ذلك يقتضي نفي مقولة «الرؤية الأحادية للتقدم لصالح الأخذ بفكرة النسبية الثقافية وبتنوع أشكال التقدم الاجتماعي والتاريخي» [2].

(١)المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٢)المصدر السابق ، ص ٣٧ .

obeikandl.com

لماذا يجري إغفال الدور الإيراني في الاحتلال الأمريكي للعراق؟

سبق وأنْ أدركنا مضمون كلام الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ، الذي ورد في أحد كتبه ، بمناسبة إحتلال الدولة العراقية الحديثة ، والقائل بأنَّ العراق هو أحد الأضلاع الثلاثة الهامة للوطن العربي ، لذا كانت الخسارة لأمته كبيرة وربما لا تعوص في الراهن الزمني المعاصر ، ولكن لماذا كان هذا الاستنتاج السياسي الذي نطق به الأستاذ هيكل في كتابه المعنون: لغارة على العراق ، يلقى العناية الهامة والاستثنائية منا ، وما هي المهمة المطلوبة منا لإدراك ذلك ؟ .

لقد كان مطلوباً منا متابعة هذا الموضوع تاريخياً وجغرافياً من أجل دعمه المعرفي وإغناء استدلاله الفكري ، بعية تسليط الأضواء على «دور العراق الاستراتيجي في إطاره و أبعاده التاريخية ، أولا، حتى نتعرف على العناصر الثابتة والمتغيرة في كيانه الإقليمي ، {ثانياً}»[1]، كما يقول أحد العلماء الجغرافيين العرب والمفكرين الاستراتيجيين ، ممن يؤمنون بواقع الأمة العربية ويحظون عند الأستاذ محمد حسنين هيكل بالاحترام الفائق الحد ، لذا كان اللجوء إليه وهو

(١)المقصود به السيد الدكتور الفقيد جمال حمدان الذي وصفه السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل بـ«عنقاء حلم مصري وقومي عظيم ، [. . . و] ، الأحلام العظيمة حتى في قلب اللهيب والتفحم لا تتحول إلى رماد ، وإنما تنهض بمعجزة من معجزات البعث من وسط الحريق مجددة حياتها وشبابها ، ناشرة ضياءها وإلهامها ، فاتحة أجنحتها القوية ، ومحلِّقة إلى أعالي السماء» . راجع كتابه المعنون أكتوبر ٧٣ ، السلاح والسياسة إصدار مركز الأهرام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، ص ٢١ .

العالم الكبير الفقيد الدكتور جمال حمدان من قبيل الضرورة الفكرية اللازمة لإدراك كنه الأهمية العراقية في التاريخ القديم والحديث كذلك.

إذ أننا كنا لا نستوعب أهمية كل ذلك من دون معرفة «هذا الدور التاريخي ، {فقد} يمكن أنْ {نخطئ} فهم عبقرية المكان في العراق بالذات، لأنه ما من قطر عربي على مدى الزمن، عرف من التقلبات العميقة في مقدراته ومصائره، في أقداره وقواه، مثلما عرفه العراق»[1]، كون «حركة توسّع الإسلام الكاسح نحو الشرق في آسيا الوسطى لم يكن غير العراق يصلح ـ بموقعه البارز المتقدم في ذلك الاتجاه ـ لدور «رأس الحربة» في ذلك الزحف ، ولهذا كان العراق الجبهة الأمامية للوطن العربي الجديد، وآلت إليه وظيفة السيطرة على ما في شرقه ابتداءً من فارس وخراسان . ولمّا كان التركيز في ذلك العصر البطولي الديني هو على العالم الإسلامي كوحدة التفاعل المشترك الفعالة أكثر منه على الوطن العربي، فمن السهل أن نرى كيف كان العراق يحتل موقعا متوسطا بؤريا تماما بين الإسلام في وسط آسيا من جانب، والإسلام في غرب آسيا وشمال أفريقيا من جانب آخر. أي أنه كان قلب العالم الإسلامي المتمدد العظيم، ومن هنا كان دوره الطليعي القيادي، دور رأس الحربة، ومن هنا كانت حضارة «دار السلام الذهبية الرائعة»[2].

ومسار التاريخ ، كما نعرف ، ليس وحيد الإتجاه والنمو ، وهناك من العثرات والنكسات الهائلة ، قد شابت تاريخ الحضارة العربية الإسلامية وبالتالي شملت واقع العراق ودوره الاستراتيجي في المنطقة العربية ، إذ أنَّ «نقطة الضعف الكامنة

(١)راجع دراسته الهامة في مجلة الفكر المعاصر ، العدد ١٢ ، (شباط / فبراير ١٩٦٦) ، ص ٣٤ ـ ٤٥ . نقلاً عن مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة التراث القومي ، قراءات في الفكر القومي ، الكتاب الثاني الوحدة العربية ،لمجموعة من المؤلفين ، وعنوان البحث حول وحدة الرافدين والنيل ، للدكتور جمال حمدان .

(٢)المصدر السابق .

مستترة في موقع العراق لم تلبث أن تكشَّف فجأة حين بدأ قلب آسيا يتحول الى صد إعصار بشري و دوامة عاتية تلفظ بموجات الرُحـّل المحطِمة المخربة. فبحكم موقع العراق على تخوم الوطن العربي تعرّض ، أكثر من أي جزء آخر منه ، لطرقات وطوفانات الرعاة الفرسان . فما من موجة غازية لهم لم تصل إلى العراق ، بينما ـ للمقارنة ـ قد تنجو منه سوريا أحيانا ومصر دائما. تلك كانت قصة السلاجقة ثم التتار و المغول ابتداءً من جنكيز خان وهولاكو في القرن الثالث عشر إلى تيمورلنك في القرن الرابع عشر. و لم يكن في هذه كغارة المغول الوثنيين المدمرة لأنهم كانوا ــ أكثر من الوندال ــ من « سفاحي الحضارات » بكل معنى الكلمة» [1].

وعليه يمكن القول إنَّ لعنة الموقع الجغرافي له جعلت العراق يتلقى الضربات الإستراتيجية بشكل دائم في القرون القديمة أيضاً ، «إلا أن أسوأ من ذلك التخلّف المؤقت ما حاوله الاستعمار {الحديث} عندما ، [. . .] . وضع مخططا كاملا ليحوّله عن قبلة العرب إلى قبلة مزيفة نحو الشرق ، فمرة يحاول أن يدخله في فلك الهند سواء بأن يدار منها أو بأنْ توضع مشاريع خبيثة في العشرينيات وفي الثلاثينيات {من القرن الماضي} «لتهنيده» وذلك بتهجير بضعة ملايين من الهنود إليه ، ومرة يربطه بقوى غرب آسيا إبعاداً له عن المحيط العربي، وذلك بضمه إلى ميثاق سعد أباد مع إيران وأفغانستان حينا، أو حلف بغداد مع تركيا وإيران وباكستان حينا آخر»[2].

من هذه التجربة التاريخية الشامخة أو المريرة تتضح لنا بجلاء حقيقة دور موقع العراق. لقد «تحوّل من رأس الحربة» في العالم الإسلامي إلى «درع» للوطن العربي. أصبح خط الدفاع الأول عن العروبة. ولهذا، وفي إنكار للذات منقطع

(١)المصدر السابق .

(٢)المصدر ذاته .

النظير، تلقى كل تلك الضربات التي خربته. ولكنه في هذا افتدى الوطن العربي كله. وفي هذا يبدو فضله الجغرافي والتاريخي بوضوح تام .وإنَّ ما خبره العراق في تاريخه الوسيط من تفاوت شديد وذبذبة حادة الى درجة التشنّج في رخائه و إنهياره، وعظمته وانحداره، وعمرانه وخرابه ، كل ذلك بما لا نظير له تقريبا في بقية دار العرب، هو وظيفة مباشرة لموقعه الهامشي الحساس على تخوم العرب وقرب قلب آسيا، وظيفة باختصار لدوره كدرع الوطن العربي وترسه»[1].

وعن أهمية الوطن الأحوازي الذي تميز عن العراق سياسياً بعد إحتلاله إيرانياً ، يستخلص الدكتور حمدان ما يلي : «نستطيع أن نضع أيدينا على السبب المباشر في اختناق العراق إذا نحن تذكّرنا ضياع عربستان، فردوس العراق المفقود، فهذا المثلث السهلي على رأس الخليج العربي، هو التتمة الطبيعية والاستمرار المباشر لسهل الرافدين العظيم وهو النافذة الطبيعية للعراق على الخليج العربي . فاغتصاب عربستان لم يسلب العراق رقعة غنية ثمينة من صميم الوطن العربي ونحواً من المليونين من أبناء العروبة فحسب، [وكتابة الدكتور جمال حمدان كان قبيل المنتصف الستيني من القرن الماضي] ، وإنما كذلك سلب منها بضعة مئات من الكيلومترات على البحر. والواقع أن ضياع اللواء السليب عربستان هو بالنسبة إلى العراق مثل ضياع الإسكندرونة بالنسبة إلى سوريا.

وجدير بالذكر أن حدود العراق التاريخية كانت تقليديا أقرب إلى خط القمم الجبلية ، بل كانت غالبا ما تتخطاه شرقا ، ويكفي أن نعلم أن جزءاً كبيراً مما هو الآن غرب إيران كان يعرف حتى قريب بـ «العراق العجمي» إشارة إلى طغيان المد العربي هناك ، أما تقهقر الحدود السياسية بعد ذلك نحو الغرب باطراد إلى أنْ أخذت مسارها الحالي، فتلك مسؤولية الاستعمار التركي العاجز أولاً و أخيراً، فما تراجع وسلّم هنا أمام الضغوط الفارسية خاصة في القرن الماضي {أي القرن

(١)المصدر ذاته .

التاسع عشر} وذلك على حساب العراق العربي سواء في الشمال الجبلي أو في الجنوب في عربستان»[1].

ولا بد هنا من كلمة استدراك للتوضيح. فنحن حين نحدد مواطن الخطر في حدود العراق مع جار له مثل إيران، لا ينبغي بحال أن ننزلق إلى الخدعة التي يحاول الحاكم الرجعي المتآمر في هذه الأخيرة أن يسوّق إليه الرأي العام العربي، وهي أن يوقع بينه و بين الشعب الإيراني الحميم. فهذا الشعب الجار المسلم، الذي يجمعه و العرب تاريخ حضاري وثقافي طويل المدى و تفاعل عميق كريم، ليس له عندنا إلا كل تقدير و صداقة. ولكن الحكم الرجعي الأتوقراطي المتعفن في إيران [والذي زادته الرؤية الصفوية الطائفية علاوة على عنصريته السابقة، بإساءات وخرافات غير محدودة، وعدوانية لا حصر لها] لا يريد بحملاته على العروبة إلا أنْ يحوّل نظر شعبه المكبوت في الداخل عن معركته، مع سجّانيه وقاهريه بأن يزيف عليه عصبية شوفينية منحرفة ضد شعب لا يشاركه قدر ما يشاركه في التطلع إلى خلاصه من رجعيته المحلية»[2].

***

ويضيف الدكتور الألمعي الفقيد جمال حمدان ووفق نظرة علمية وفكرية إستباقية ثاقبة التالي: «وقد أثبت التاريخ خطورة هذا الوضع. فلو أن تركيا استغلت مياه المنابع بإسراف أو أساءت تطهيرها، لأثّر ذلك في مائية العراق تأثيرا بالغا. ولو أن إيران أقامت سدودا على نهر الكارون في منطقة الأحواز لحرمت غابة نخيل شط العرب كل قطرة ماء، وهي التي تعتمد على مياهه الصيفية. وحتى الآن لم تتأزم العلاقة المائية حقا بين العراق وجيرانه إلا ما كان من حوادث فردية محدودة تركزت في الواحات الجبلية الصغيرة في شرق العراق على الحدود الإيرانية حيث

(١) المصدر ذاته.

(٢) المصدر السابق.

قطعت المياه عن بعض القرى والمدن ولكنها عادت فسويت . على أن من حسن الحظ أن حاجة الجارتين الى مياه الري لا يمكن بالضرورة إلا أن تكون حاجة تكميلية ثانوية للغاية بحكم غزارة و كفاية موارد المطر الطبيعي في أحباسها. وحتى إذا ما حاولتا أن تسرفا في دعاويهما المائية للري ، فإن أغلب أودية النهرين في منابعهما جبلية ضيقة قزمية، وقصارى ما يمكن أن يبنى عليها من مشاريع وسدود هي وحدات ثانوية ضئيلة القدرة والتخزين . وبمعنى آخر، فإن للعراق أن يطمئن ـ كدولة ري تقليدية ـ على ثروته المائية من الناحية السياسية لأنها «حق ارتفاق» تاريخي كما هي حق ارتفاق جغرافي» [1].

أما الدور السياسي والعسكري الذي لعبته الدولة الإيرانية ونظامها السياسي الحاكم ملالياً ،في الإحتلال الأمريكي للعراق خلال العصر الراهن ، فقد كان واضحاً جلياً ، وليس كما يقول الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل في حواره الأخير ببرنامج «تجربة حياة» وذلك يوم الخميس الموافق ٩ / ١٢ / ٢٠١٠ مع السيد محمد كريشان ، والمذاع من على قناة «الجزيرة الفضائية» القطرية ، ويكرره بشكلٍ متواتر ، كلما حانت لحظة الحديث عن إيران الحالية : إن إيران لم تأتِ بجندي أمريكي واحد ، وعليه يستخلص الصحفي الكبير براءة إيران من عملية الإحتلال الأمريكي للعراق ، مما يدفعنا لمناقشة ذلك الإستخلاص بشيء من الإستفاضة التي يمكننا القول معها أنَّ القصف الأمريكي لكي يقترن بالنجاح العسكري والسياسي ، كان يراد له أن تلتحق به الجهاز الدعائي الإيراني مثلما تلتحق به قوات برية تؤدي الدور المعلوماتي الإستخباراتي والقتالي المطلوبَين في تدمير الدولة العراقية بغية المساهمة في منع مجتمعها من المقاومة الشعبية المسلحة ، أو عرقلتها في أحايين كثيرة ، وهو ما قامت به قوات ما يسمى بـ«قوات

(١)المرجع السابق ، واليوم في عهد الملالي أقامت إيران ستة عشر سداً مائياً حولت عبرها مياه الأنهار الأحوازية إلى مناطق في الداخل الإيراني : كأصفهان ورفسنجان وسيستان وغيرها .

بدر» وميليشيات أحزاب طائفية ومجنديها الذين دخلوا العراق من إيران «الجارة الإسلامية» ، والتي بلغت أعدادهم في بعض المراحل السابقة ، وعلى وجه التحديد عشية العدوان الأمريكي عى العراق في ١٧ / ١ / ١٩٩١ . . . بلغت ٦٠٠٠ مرتزق يحملون أفكاراً فارسية صفوية ـ إنْ لم يكونوا يحملون جينات فارسية أصلية ـ في خدمة قوات الغزو الأمريكي ، متوضعة في «جمهورية إيران الإسلامية» بإنتظار إشارة بدء الغزو الأمريكي للعراق[1]، لكي تساعد القوات الصليبية الصهيونية ، بالمعنى التاريخي والحضاري ، وليس الديني قطعاً ، وتحت الإشراف المباشر للمحابرات الإيرانية ـ[الساواما] .

***

أما فتوى خامنه أي المنشورة في الصحف العربية آنذاك ، حول السماح للأحزاب المذهبية التابعة لإيران بالتعاون العسكري والمخابراتي مع الدول الغربية ، وأمريكا بالذات ، فقد لعبت الحادلة السياسية / الفكرية كي تمهد طريق الغزو الأمريكي للعراق ، وهي على العموم أشهر من أن تُعرف ، كما أن المعلومات الكاذبة لباقر الحكيم وأحمد جلبي حول إمتلاك جمهورية العراق لأسلحة الدمار الشامل ، التي جرى فبركتها في السراديب المخابراتية الإيرانية ، هي أحاديث موثقة لمختلف المصادر التي لها علاقة بالوطن العراقي والعراق على وجه الخصوص ، مثلما كونها لا تخفى على ذاكرة السيد المتابع : الأستاذ محمد حسنين هيكل المكتنزة بالمعلومات ، وكلها دلائل على الدور الإيراني في الإحتلال الأمريكي في العراق .

نعم ، بعض الأنظمة العربية وعبر توفير القواعد العسكرية ومعلوماتها

(١)كما أوضح ذلك بشكل تفصيلي في البرنامج الدبالوجي المكتنز بالمعلومات الموثقة ، الذي بثته فضائية «الجزيرة» القطرية تحت عنوان «تجربة حياة» التي يمكن قراءتها على موقع فضائية «الجزيرة» القطرية ، في حقل البرامج المسجلة .

المخابراتية والتسهيلات اللوجستية ، شاركت بشكل مباشر بمساعدة الأمريكيين المحتلين في العملية الغادرة لإحتلال العراق ، كما يرى ويثبت «مؤلف كتاب خطة هجوم» [1]، ولكنْ، أيشكل ذلك مبرراً لعدم إدانة أدوار القوى السياسية الأخرى من الدول العربية والإسلامية المجاورة للعراق ، والتي تأتي إيران من بين أهمها لأسباب كثيرة ، والتي ساعدت بشكل مباشر أو غير مباشر الأمريكيين على إحتلال العراق في ٩ نيسان ٢٠٠٣ ؟ .

وما هو الموقف السياسي للوطنيين العرب : لا سيما منهم المفكرون ، من العبث والتخريب الإيراني الممنهج واللاحق الذي طال مختلف مفاصل الدولة العراقية ، من ناحية ؟

ولعل ما قاله ـ إضافة إلى كل ذلك الذي سبق ذكره ـ محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي، صديق الأستاذ محمد حسنين هيكل ومستضيفه في مزرعته بالقاهرة ، أنه لولا إيران لما جرى احتلال العراق، وجرى ترديد هذا التصريح سواء أكان في المعنى أو المبنى عبرَ ألسنة العديد من القادة الإيرانيين، الذين من بينهم هاشمي رفسنجاني وأحمدي نجادي وغيرهما ، من ناحية أخرى ! .

كما أنّ دلالة زيارة أحمدي نجاد للقصر الجمهوري في بغداد بالعراق المحتل أمريكياً ، أو ما يسمى بالمنطقة الخضراء التي تقيم فيها حكومة الإحتلال العميلة ، والذي يتحكم بحركته السياسية الأمريكيون المحتلون العسكريون ، من الناحية

(١)راجع كتاب خطة هجوم ، تأليف السيد بوب ودورد ، تعريب فاضل جتكر ، إصدار مكتبة العبيكان ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م ، الرياض / المملكة العربية السعودية ، والمعلومات عن الدور «العربي الرسمي» المخزي متناثرة في ذلك الكتاب الهام . تجدر الإشارة إلى أنَّ الناطق الرسمي بإسم الخارجية المصرية نفى تلك الأنباء جملة وتفصيلا ، فيما قال الشيخ الليبي الذي هو مصدر المعلومات عن علاقة العراق بالقاعدة أنّ طرق التعذيب الوحشية قد أجبرته للإعترافات الكاذبة ، بغية الخلاص من طرق التعذيب البشعة التي إتبعتها مخابرات نظام مبارك معه .

الثالثة ، هو أكثر من مؤشر على تقاسم الدور الوظيفي wetchdum بين المحتلين الأمريكيين، والحكام الفرس الصفويين ضد العراق ، والمسؤولية الأدبية : المادية والمعنوية تفرض على الوطنيين العرب : المخلصين ، تنبيه «الأخ أو الجار» بالقول الذي أمر به الرسول العربي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، بضرورة ردعه عندما يكون ظالماً جائراً مجرماً ، ونصرته عندما يكون مظلوماً ، هذا إذا لم نتخذ الموقف السياسي المبدئي الحازم عبر ضرورة إدانته ، من الناحية الرابعة والأخيرة.

ومن المعلوم للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل على هذا الصعيد ، ولمن يرى رؤيته السياسية المجحفة بحق الأمة العربية في هذا الشأن القومي المحدد ، نقول هذا الاستخلاص ونحن مستندون علمياً وعملياً على التاريخ العربي الحديث في المرحلة الناصرية المشرقة. . .نقول لكل الذين ما يزالون أسرى التضليل الفكري والسياسي حول الموقف السياسي الفارسي بصدد الوضع العربي برمته ، كما يبدو ، نقول مكررين ما سبق لنا وأنْ ذكرناه : إنَّ مساحة الأحواز الجغرافية والمحتلة إيرانيا تساوي مساحة فلسطين والأردن وسوريا ولبنان مجتمعة ، وأنَّ نفوس العرب في إيران تقارب العشرة ملايين مواطن يحرمون حتى من حرية إختيار أسماء أبنائهم وبناتهم ، ولا توجد مدرسة عربية واحدة ، نعم مدرسة واحدة فقط وعلى أي مستوى دراسي كان ، تدرِّس أبناءهم باللغة العربية : لغة القرآن الكريم ولغة الأمهات ، رغم أنَّ الدستور الإيراني يزعم أو ينص وفقاً للمادة ١٦ على التالي : «بما أنَّ لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هي العربية ، وإنَّ الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل ، لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الإبتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والإختصاصات الدراسية» [1].

(١)راجع كتاب الدكتور شبّر الفقية الذي يصفه الكتاب بأنه دكتوراه في العلوم السياسية والفلسفة والأدب العربي ، والمعنون مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام : إشكالية الأمة والدولة ، إصدار المكتبة الجامعية ، مطبعة دار البحار ، بيروت / لبنان ، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩ ، ص ٤٦٩ .

وإن العراق الوطن والمجتمع المحتل أمريكيا على المستوى العسكري والمحتل إيرانيا على المستوى «الفكري والسياسي» راهناً، ومن خلال الأذرع الميليشياوية المسلّحة وإتباعها للتعليمات الإيرانية، والتي تعبث السلطة الفارسية في كل زواياه تخريباً عبر المخدرات وقتلاً من خلال الإغتيالات والخطف وكتم الأنفاس، وسرقة النفط والثروات، وإجراماً على كل الصعد المختلفة، وتمزيقاً للمجتمع على أسس طائفية . . . إن هذا العراق يوازي مرة ونصف المرة مساحة الأحواز تقريباً، أي مرة ونصف المرة مساحة بلاد الشام كلها، وسبق للسيد هيكل أنه وصفه بـ«أحد أضلاع المثلث العربي الكبير»، سوريا والعراق ومصر، فعلامَ هذا التجاهل الكبير لواقع الأمة العربية بمختلف أقطارها «المستقلة» وأجزائها المحتلة . . . تجاهلها من قبل أبنائه المفكرين المخلصين العرب الذي تتزايد أهمية دورهم طرداً، على ضوء التناسب الكبير في إطارموقعهم السياسي ونطاقهم الفكري الكبير ؟.

إننا إذ نعيد التذكير بالمعلومات الخاصة بالعراق، والتي قال فيها الأستاذ محمد حسنين هيكل ، على سبيل الذكرى التي قد تنفع البعض، من خلال إسترجاع ما في ذاكرتنا من مواقف فكرية وسياسية جاءت على لسان السيد محمد حسنين هيكل في مرات سابقة من خلال مقابلة صحفية أجرتها معه مجلة «الوطن العربي» اللبنانية التي تصدر بباريس بقول السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل:

إنّ لا شيء في العراق يغري الأمريكان على احتلاله، ولكنْ هذه الفرضية التي كانت نظرية قد جانبها الصواب، وأصبح الإحتلال الأمريكي له قائماً و«حقيقة» عملية ملموسة راهناً، فمتى يراجع السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ـ ومَنْ يرى رؤيته السياسية أيضاً ـ موقفه السياسي تجاه الوطن العربي كله، وليس موضوع الخليج العربي فحسب، وينظر للأمور بتبصر موضوعي يأخذ الجانب الجغرافي والتاريخي كله : الماضي والحاضر والمستقبل، وليس فقط الفترة

الزمنية خلال الخمسة عقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ؟ .ومتى ينظر للقضية السياسية كلها انطلاقا من معطيات الأمة العربية، وليس منظوراً إليها من مسألة الأمن الوطني أو القومي المصري ؟[1].

(١)راجع على سبيل المثال لكي نطلع على بعض لدراسات الكلية ، الكتاب الهام جداً والمعنون : الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية وحتى يومنا ، تأليف العلامة الروسي بونداريفسكي ، ترجمة إلياس شاهين ، إصدار دار التقدم في الإتحاد السوفييتي ، في العام ١٩٨٥ . وخلاله ـ كما يأمل المؤلف ـ من صدور مؤلفه الغني بالمعلومات و«المرتكز على دراسة المطبوعات العلمية والوثائق الأرشيفية خلال زمن طويل» أنْ يكشف للقراء والمتابعين الجادين الوعي العميق والتفصيلي حول «الجوهر العميق للإستعمار والاستعمار الجديد ودورهما المشؤوم في مصائر شعوب العالم لإسلامي» ، كما ذكر ذلك في مقدمته وفي الصفحة ١٥ من ذلك الكتاب .

obeikandl.com

الوعي السياسي والاحترام للمشاهد .. ولكن ؟!

فالأستاذ محمد حسنين هيكل بقامته الفكرية النبيهة والسياسية المديدة ورؤيته الإستباقية التي تبيُّنها بشكلٍ بارز ، غالبية كتاباته السياسية / التاريخية التي تجاوزت أعوامه نصف القرن الماضي كما قلنا سابقاً ، وكذلك مقابلاته الفضائية عبر البرنامج الهام «تجربة حياة» ومقابلاته التلفزيونية مع السيد محمد كريشان التي تُبث من على في قناة الجزيرة الفضائية[1] . . . كلها تكشف عن مدى إحترامه للمشاهد والقارئ الواعي والمتابع من خلال تفحصه وتدقيقه لمئات الوثائق السياسية والدبلوماسية بغية تدعيم وجهة نظره ، وإحضار بعض المصادر إبّان أحاديثه في تلك الفضائيات ، وعبر العمر السياسي المديد المفعم بالإخلاص والتبحر والتدقيق والمقابلات الشخصية الهائلة مع صنّاع القرار السياسي أو منفذيه على المستويات المصرية والعربية والإقليمية والعالمية ، ناهيك عن القراءة الواعية في الوثائق السياسية والدبلوماسية الدولية الخاصة بمجريات الوضع السياسي العربي والحوادث السياسية العاصفة التي مرت بها المنطقة ، ومن مظانّها الأساسية في الدول الغربية الكبرى التي تحكمت في حركتها ، وبصورة أساسية ، بكل منعطفاتها التغييرية على الأغلب ، وذلك على ضوء «ذاكرة مكتنزة وغنية» و«عين إنتقادية ترى

(١) كما ورد في أحد أحاديثه المسجلة بعنوان «تجربة حياة» بمناسبة الحديث عن كيفية إدخال الصواريخ على الضفة الشرقية لقناة السويس المصرية التي كان كيان الإغتصاب الصهيوني يسيطر على ضفتها الغربية ، إبّان حرب الإستنزاف .

وتفهم وتتبصر» ـ إذا شئنا إستخدام مسكوكات الأستاذ هيكل اللغوية ـ[1] .

وكل تلك المقدمة السياسية الراصدة للمنجز الثقافي «الهيكلي» إنْ صح التعبير ، هي جملة تاريخية مختزلة تحاول السياحة في الحديقة الفكرية التي زرعها في أي متابع ومهموم بالقضية العربية ، وهي حديقة تتمتع بغنى وارف وغير مألوف ، من أجل تنسّم أريجها والتجول بين ورودها ومعاينة أزاهيرها بغية إستيعاب معانيها عبر رصد نتاجه الفكري والمعرفي والسياسي . . . أقول : إنَّ هذه المقدمة هي رؤية سياسية مكثفة ـ كما أعتقد ـ ولكنها قد تعطي لمحة مجتزئة من رؤية فكرية وسياسية غزيرة وشاملة ، كونها وبالتأكيد ، تستند على دعائم من الممارسات السياسية المسؤولة والشاخصة أمام الجميع إلا مَنْ أصيب بعمى الألوان وعشا في ليل التطورات السياسية الراهنة خلال ثلاثة أرباع القرن الماضي : سواء عندما كان في موقع المتابعة الصحفية أو في مركز المسؤولية الوظيفية في الدولة المصرية : وزيراً للإعلام أو الخارجية ، أو رئيساً للتحرير في جريدة «الأهرام» أو الجهود المبذولة في العمل الصحفي الذي يعتمد المعلومة أو الخبر كفلسفة صحفية .

في الحقيقة لقد شكل الأستاذ محمد حسنين هيكل ـ ولا شك ـ ظاهرة سياسية ساطعة في الوطن العربي ، تميزت بالصدق مع النفس وكذلك الصدق مع الإنسان الآخر من المتابعين أو القرّاء العرب .

إذ أصدر عشرات الكتب التاريخية من ذات الوزن الفكري والسياسي الثقيل ، ومن المؤلفات الغنية بالوثائق الدالة على الأسباب الحقيقية للأحداث ، بشكل كبير وكثيف ، تميزت بإستفاضات نظرية هامة وإخبارية مهمة ومعلوماتية أهم ، عن تطورات الوطن العربي ـ خصوصاً ـ السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، والتي إنتظمتها رؤية سياسية متساوقة منسجمة ومتبصرة ومتواصلة ، من جهة

(١) تعرض إلى مراكزه التوزيرية في حديثه بالبرنامج السياسي المعنون «تجربة حياة» ، وجرت الإشارة إليه في مرات عديدة .

أولى ، وسلّط فيها ، ومن خلالها كذلك ، الأضواء السياسية والوثائقية على النهج الدبلوماسي والعملي للمفردات السياسية البريطانية والفرنسية تجاه المنطقة العربية ، من جهة ثانية ، وكذلك تابع بالفحص والتدقيق والتدّبُر : ناقداً أو محفزاً ، لكل تجليات الممارسات السياسة التي سادت الأفعال العملية القهرية للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية ، من جهة ثالثة ، ودور الأيديولوجية الصهيونية في سيرورتها منذ الحرب العالمية الثانية ، إنْ لم يكن قبلها بالتأكيد ، من جهة رابعة ، وصولاً إلى الرؤية المدققة لهيمنة هاتين الحركتين : الأمريكية والصهيونية الإسرائيلية في أبعادها السياسية الخارجية . . . الهيمنة الكلية على الأمة العربية للدرجة التي صار معها الإرهابي أرئيل شارون : بطل سلام ، وجورج بوش الإبن مندوب العناية الإلهية ، أقول ذلك : على سبيل المثال وليس الحصر والمتابعة التدقيقية ، وما ترتب على كل ذلك الجهد السياسي المشترك للإمبريالية الأمريكية والحركة الصهيونية وكيانها من مواقف سياسية للولايات المتحدة تجاه المنطقة العربية : أنظمة وشعوب وأمة وحضارة ، من جهة خامسة أخيرة[1] .

كون هذه الدول الثلاث من الدول الغربية : بريطانية وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ، وبرامجهم السياسية الكونية ، هم الذين قادوا الصراع التاريخي ضد الوطن العربي والعالم الإسلامي [2]، في المراحل الزمنية المتعاقبة طوال القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر ، والقرن العشرين والسنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين عندما إحتلت قواتها الباغية العراق . أي ضد الإمبراطورية العثمانية التي كانت أغلبية المنطقة العربية تقع ضمن حوزتها السياسية ، وفق السياسة الأوروبية المعروفة بضرورة الإستحواذ الكلي على «تركة

(١)كذلك في المرجع السابق .

(٢)راجع الكتاب المذكور في الهامش رقم ١٨ ، فهناك رصد وافٍ لمجريات السياسة الأوربية وتأثيراتها على العالم الإسلامي خلال القرون التي نشأ فيها النظام الرأسمالي في بعض بلدان أوربا ، وتمظهر السياسة الاستعمارية الأوربية وحروبها الإستيلائية على الوطن العربي والعالم الإسلامي .

الرجل المريض» ، وفصل السواحل عن الدواخل بسبب أساسي ينبع من أنَّ قوتها الأساسية قوة بحرية ، وتجزئة المشرق العربي إلى دويلات لا حول لها ولا قوة في أي مجال يلبّي طموحات شعبها السياسية في التحرر الفعلي والتوحد السياسي والتقدم العلمي على جميع المستويات ، وتهيئة العوامل الموضوعية التأسيسية لإقامة كيان الإغتصاب الصهيوني لفصل المشرق العربي عن المغرب العربي : الحفاظ على قناة السويس كشريان مائي حيوي ، مثلما رسمت تفاصيلها البرنامجية الوثيقة السياسية الصادرة عن مؤتمر «كامبل بانرمان» المنعقد بين عامي ١٩٠٤ ـ ١٩٠٧ [1]، من جهة أخرى .

(١) راجع كتاب العرب واليهود في التاريخ : حقائق تاريخية تظهرها لمكتشفات الآثارية ، تأليف الدكتور المهندس أحمد سوسة ، الطبعة السابعة الصادرة عن العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق سوريا ، دون تاريخ ، ففي الفصل الثامن والمعنون فلسطين في خطط الإستعمار الأوروبي ـ مقررات مؤتمر كامبل بنرمان لسنة ١٩٠٥ أو مؤتمر لندن ، القسم الخامس ، الذي يبتدئ من الصفحة ٧٢٥ وحتى ٧٣١ ، يورد العالم الكبير المرحوم الدكتور أحمد سوسة نص البرنامج السياسي لأوربا الغربية تجاه الوطن العربي ، ونص تقرير المؤتمر و«المؤلف من مشاهير المؤرخين وكبار علماء الإجتماع والجغرافية والإقتصاد والتاريخ والنفط والزراعة والإستعمار في دول الإتحاد» الأوربي ، التي عزمت على «تشكيل جبهة إستعمارية موحدة من الدول ذات المصالح المتوافقة في العالم آنذاك وهي : بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وأسبانيا» والعديد من المفكرين الإستراتيجيين ، مثلما حضره البروفيسور جيمن جيمس مؤلف كتاب البحوث التاريخية المشهورة وزوال الإمبراطورية الرومانية ، ولوي مادلين الأستاذ في السوربون ومؤلف كتاب نشوء وزوال إمبراطورية نابليون ، وليستر الأستاذ في جامعة لندن ، ولتسنخ ، وسميث ، ودرتنج ، وزهروف وغيرهم ، من مشاهير العلماء والأساتذة» ، ص ٧٢٧ ـ ٧٢٨ ، وأكد العلماء المؤتمرون على حقيقة كون الشعب العربي الواحد والأمة الواحدة عبر النص التالي الذي أمكن الإطلاع عليه ـ كما يرد ذلك في الكتاب الضخم المؤلف من ١٠١٤ صفحة ، وعلى الصفحة ٧٣٠ ـ «إنّ الخطر ضد الإستعمار في آسيا وفي أفريقيا ضئيل. ولكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط ، وهذا البحر هو همزة الوصل بين الغرب والشرق، وحوضه مهد الأديان والحضارات ، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط، وهذا فضلاً عن نزعاته الثورية=

لقد أصبح الوطن العربي والمجتمع العربي وشعوب أقطاره تعاني من مرارات العدوان السياسي والعسكري للدول الغربية الثلاث كلها ، والتي أصبحت المصلحة الإسرائيلية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، هي النابض الأساسي والاستراتيجي المعاصر لتفكيرهم السياسي الكلي ولمجموع تحركاتهم العسكرية ، قبل أنْ يدخل السلاح الأمريكي في المعركة العسكرية المباشرة لكي يفرض إرادة أصحاب شركاتها على الأمة العربية ..

ولكن بالرغم من كل ذلك ، فإنَّ لنا مع الأستاذ الكبير السيد محمد حسنين

=وثرواته الطبيعة ، فماذا تكون النتيجة لو نقلت إلى هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانيات الثورة الصناعية الأوروبية ، وإنتشر التعليم فيها وإرتفعت الثقافة ؟ ! إذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاصمة حتماً بالإستعمار الغربي» ، ومن ثم يقترح برنامجاً للحفاظ على التخلف وتمزيق المنطقة وإقامة حاجز بشري يفصل المشرق العربي عن المغرب العربي ، قوي وغريب . . . قوة صديقة للإستعمار وعدوة لسكان المنطقة» ص ٧٣١ .

ومن المعلوم أنَّ المؤلف المولود في مدينة الحلة العراقية قد نال الدكتوراه في الهندسة والفلسفة من الجامعات الأمريكية ، ومن جامعة جونر هوبكنز على وجه التحديد ، وذلك في العام ١٩٢٩ بدرجة الشرف، وله نشاطات فكرية كثيرة ومتعددة الجوانب ، فهو إضافة إلى إنجازاته الوظيفية ومساهماته في تأسيس جمعية المهندسين العراقيين سنة ١٩٣٨ ، ومشاركته في تأسيس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٠ والمقالات والتعليقات في الجرائد والمجلات ، فهو مؤلفاً لخمسة وأربعين كتاباً في مختلف صنوف العلم والمعرفة في الهندسة ، والري ، والتاريخ وإلخ . . . ، منها ثلاثة وعشرون مؤلفاً باللغة العربية وسبعة كتب باللغة الإنكليزية ، وله حالياً كتابان هما الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية و«ري العراق القديم» الذي أصدرته كلية الهندسة التي تبنته كمرجع دراسي ، والدارس لمؤلفات أحمد سوسة ـ كما يقول إلياس بيطار الكاتب للموجز عن حياة المؤلف أي أحمد سوسة ـ يجد أنها جميعاً لم تكن سوى إمتداداً لطفولته المثيرة في مكانها وزمانها وأنها لم تكن سوى علامات على درب مسيرته الكبرى «العرب واليهود في التاريخ» الذي هو خلاصتها أو في أساسها جميعاً لاسيما كتاباه الضخمان «الري والحضارة» و«فيضانات بغداد في التاريخ» تجدر الإشارة إلى أنه إعتنق الإسلام في العام ١٩٣٢ بعد أنْ كان قد وُلد لعائلة موسوية في العام ١٩٠٠ . . «وينبغي التذكير هنا ، بأنَّ الأستاذ هيكل قد ذكر في كتابه الأولَ عن المفاوضات إلى أنَّ «سنة ١٩٠٤ توصلت بريطانيا وفرنسا إلى الإتفاق الودي بينهما» ، [ص ٧٩].

هيكل : وهو القامة الثقافية الرفيعة والشخصية السياسية المفكرة وذات الرؤية والاستراتيجية الهامة ، مشكلة سياسية تتعلق برؤيته السياسية للدور السياسي الإيراني الراهن ضد الوطن العربي : الدور الفارسي الصفوي في الوطن العربي ، على وجه التحديد ، ليس بسبب نوعية وعيه العميق بشؤون المنطقة العربية فقط ، بل كونه ، كذلك ، يقول ويؤكد على إنني : «ما زلت مؤمناً بالمشروع القومي وإعتقادي أنَّ دور جمال عبد الناصر كان تعبيراً عنه ، وبالتصور الاستراتيجي الداخلي والقومي والدولي لجمال عبد الناصر في وقته وفي زمنه» [1].

(١)ورد كلامه في نص آرائه التي قال بها حول ثورة مصر في بدايات العام ٢٠١١ ، وذلك في مقابلته الصحفية الهامة المنشورة في جريدة «الأهرام» القاهرية التي نشرت بمناسبة زيارته لمبنى الصحيفة ، الصادرة في يوم الأحد الموافق للثاني والعشرين مايو / أيار عام ٢٠١١ ، الصفحة الرابعة . ومن الجدير ذكره أنَّ الأستاذ محمد حسنين هيكل قد أكد على تمسكه في ذلك الإتجاه السياسي في العديد من المناسبات ، وعلى سبيل المثال ، فإنه يقول خلال مناقشته لبعض السائرين على نهج الإمام من الذين إستولوا على السفارة الأمريكية . . . يقول التالي : «إنني من المؤمنين بالقومية العربية ، وإنني ثابت الإيمان بها ، وبينت لهم أنَّ العنصرين الأساسيين اللذين جعلا العرب أمة هما اللغة والحضارة ، ولذا إذا ما تحدثت عن التاريخ العربي والقومية العربية فإنني - إلى حدٍ ما - أتحدث في ذات الوقت عن الإسلام» ، راجع كتابه المعنون بمدافع آيات الله : قصة إيران والثورة ، إصدار دار الشروق ، الطبعة السادسة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ ، ص ٤٠ .

٤

السمات العامة للوضع العربي وإشكالية التعامل مع المفاهيم

إنني إذ أجمل المبررات الموضوعية لذلك المشكل السياسي على شكل نقاط جوهرية ، فلربما ـ كما نأمل ذلك ـ أن يتواضع السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ، أنْ لا يضيع وقته ووقت الآخرين ـ كما يقول في أحد أحاديثه ـ وبالتالي ، يقرأ حقائق الملف التاريخي للوطن العربي على حقيقته وبشكل كلي وكامل ، كما هو في الواقع الجغرافي لصيرورته وتكوينه الإجتماعي ، وليس كما يرغب بناءً على «معلومات سياسية غربية إستشراقية» التي سكّ بعض سياسيها مفهوم «الخليج الفارسي» :

أولاً : إن الوطن العربي والأمة العربية ومصلحة الشعب العربي ، هي المعايير الأساسية للتقويم الموضوعي لما يمسهما على الصعيد السياسي . إذن ، «نحن نحتاج إلى نظرة قومية ، فالذين درسوه من قبل ، أجانب أو وطنيين ، كان الأعم الأغلب منهم مَنْ يفتقر إلى النظرة القومية العربية الشمولية . وبالتالي فقد كان ينظر إلى هذا الوطن العربي من خلال الوقائع السياسية القائمة ، أو بسبب خلفيات إستعمارية / إمبريالية أو دينية تبشيرية أو مصلحية ضيقة تتعلق بنيابتهم عن القوى الأجنبية لتنفيذ مخططاتها السياسية ، هكذا درسه المستشرقون والمبشرون عموماً لمعرفة ثرواته الإقتصادية ، وتنوعاته البشرية ، ودرسوه بإعتباره واقعاً سياسياً ، وبخاصة في ظل العثمانيين ، لا بإعتبار حقيقة الإتجاه التاريخي فيه . وكان الأعم الأغلب منهم يهتم بدراسة بقعة معينة ـ قطر أو جزء من قطر ـ وجماعة معينة ـ قبيلة أو طائفة ـ أكثر مما يهتم بدراسة الوطن كله ، ولهذا قدموا لنا صوراً جزئية ، أكثر

مما قدموا لنا الصورة العامة ، ورأوا الجزئيات المكونة له أكثر مما رأوا الكل الجغرافي والتاريخي ، وكانوا عندما ينتقلون إلى بقعة أخرى أو جماعة أخرى ، لا يرون إلا المفارقات» [1]، السياسية والتكوينية .

ثانياً : إن هذه المسائل الثلاثة والمترابطة كـتَشُوفٍ سياسي وطموح فكري مبدئي حفزّت ملايين المواطنين العرب للتضحية من أجل الأمة العربية وقضية الحضارة الإسلامية منذ القرون الحديثة الماضية ، وما يزالون ، بالرغم من الغموض النسبي للمفاهيم السياسية الخاصة بصددها ، وهي في أية حالٍ من الأحوال ، أبعد من التطورات السياسية لتي شهدتها المنطقة العربية خلال القرنين الزمنيين الفائتين : أي أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين : كالتجزئة السياسية ، وقيام كيان الاغتصاب الصهيوني ، وانطلاقة الثورة العربية الحديثة في : مصر وسوريا والعراق وفلسطين والجزائر خلال المنتصف الثاني من القرن العشرين ، وغيرها بالتأكيد ، لأنَّ توجهاتها السياسية الأساسية كانت ضد مستغليها ، وسالبي نعمة ثرواتها ، وشرذمة أوطانها لإضعافها ، ومصادرة بعض أراضي الوطن العربي لإقامة كيانات تخدم مصالحها .

ثالثاً : إن التاريخ والجغرافية كمفهومين علميين لهما دلالتهما الحسية الملموسة ، وهما اللذان يفرزان المفاهيم السياسية الخاصة بالمنطقة العربية ، وليس منشأهما التكويني أو الترويجي ، أنْ تصدرَ عن الكتابات الاستعمارية السياسية والبحوث الإستشراقية المشبوهة من حيث الهدف أو الاستهداف ، والتي كانت نتائجها «المعرفية» الناجمة عنها ، تشكل المحور الأساس للمناهج

(١)راجع كتيب الأستاذ ناجي علوش المعنون الوطن العربي : الجغرافية الطبيعية والبشرية ، إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة الثقافة القومية : (٣) ، الطبعة الأولى الصادرة ببيروت / لبنان ، نيسان / أبريل ١٩٨٦ ، ص ٧ ـ ٨ . ومن المعلوم أنّ الأستاذ هيكل طالما نوه بالمركز القومي ذاك ، وأشاد بالإنتاج الفكري التي يصدره بسبب الخط السياسي العام لمحتويات ذلك الإنتاج والروح العلمية الذي تنتظمه .

التربوية والتدريسية في المؤسسات التعليمية العربية خلال مرحلة الهيمنة الإستعمارية التقليدية : البريطانية والفرنسية بشكل أساس على الوطن العربي ، فقد أخذ العرب الأكاديميون الكبار وبعض علمّاء التأليف للكتب التاريخية والجغرافية ، تلك المفاهيم السياسية والمسميات الجغرافية المستخدَمة ، عن مَنْ إنتهلوا علومهم المعرفية في جامعات الدول الغربية وقاموا بتأليف الكتب التدريسية الخاصة بدور التربية والمدارس المختلفة في الوطن العربي على صعيد أغلب مراحلها التدريسية ، بغية حشوها عبر «الدرخ والحفظ الآلي» في رؤوس الطلاب من دون تبصر سياسي أو عناية فكرية أو إثارة أية أسئلة تاريخية محفزة للاجتهاد ، كون تلك الأسئلة هي المفاتيح الأساسية لكل فعالية تربوية تتسم بالإبداع والتقدم المعرفي ، وكانت الأسباب الوظيفية لموقع تلك الرموز البشرية في الأجهزة الإدارية التربوية ، هي العوامل الكامنة وراء الأخذ غير الغائي لعموم «المفاهيم السياسية» عند مجموع الطلاب العرب الذين صار بعضهم باحثين وكتّاب ، وغدت تلك «المفاهيم السياسية»التي لها علاقة بالوطن العربي ترتكز على التكرار والترديد في المنتج «الفكري العربي» وقوامهما الأساس نشوء وانتشار روحية التقليد المعلوماتي والتوجيهات الفكرية الغربية والطموحات السياسية للدول الغربية والمدارس الإستشراقية غالباً .

وبالتأكيد فقد سادت لدى البعض العربي من أساتذة التربية المدرسية ممن ألفّوا الكتب الدراسية على نمط عقليتهم السياسية وحتى الفكرية ، روحية الصياغات المترسبة في وعيهم ولا وعيهم عن «الثقافة الإسلامية» خشية من تسرب المفاهيم الدينية الإسلامية الحقيقية والفعلية في المناهج التربوية التدريسة، ربما كان ذلك ـ أيضاً ـ يكمن في عملية تؤكيد «حداثتها المزعومة» وتبرهن على ولائها لأولي الأمر ممن كانوا يستمدون القوة المادية من الهيمنة السياسية الأجنبية، وبسبب إرتباط ذلك الدين بالرؤية العثمانية بغية تثبيت إدعاءاتها بالتخلص من الرؤية السياسية الطورانية أو الإسلامية التقليدية.

ولكن على المستوى السياسي لم يكن الحذر الفكري والسياسي عندهم مساوياً للتوجس الديني ، لذا كانت مسارات «أكاديمية» البصم هي التي إحتلت «أذهانهم وطموحاتهم» ، وعقلية «النقل» من دون تلمس موضوع التوجه التاريخي الأساسي، من وجهة نظر قومية عربية إسلامية ، فساد عندهم تعبير ما يسمى بـ«الخليج الفارسي» بدلاً من مفهوم الخليج العربي الذي هو المعبِّر عن الواقع الجغرافي العيني والعمق الإجتماعي التاريخي الموضوعي [1].

(١)في مرات سابقة أوردتُ ما ذكره الأستاذ محمد حسنين هيكل التالي : في الكتابة السياسية أو الحديث في الصدد الأهم المثار في الكتابة ، ينصح السيد محمد حسنين هيكل : الصحفي اللامع ، وبالإستناد إلى أقوال الرئيس الفرنسي الأسبق شارل ديغول ، وهو من القادة السياسيين الأوربيين الكبار في العصر الحديث ، بضرورة إستحضار عامل التاريخ : كونه البيئة الكونية لأي حدث ، وعامل المكان عبر الخرائط الجغرافية بسبب بيئتها التفسيرية لتحيل أي واقع عيني ، في أي نص تحليلي سياسي ، وإذا أخذنا الواقع السياسي والملموس لتلك المنطقة التي يحدد واقعها الإجتماعي مفاهيمها السياسية والقومية ، فإننا سنطّلع بالوثائق الحسّية أن اسكان العرب هم مَنْ يقطنون على ضفتي الخليج العربي، ومنذ مئات السنين ، (راجع صورة الخريطة أسفل هذه الفقرة) ، هذا من الناحية الأولى ، وأن الاحتلال الفارسي والرسمي للأحواز لم يبدأ إلا في العام ١٩٢٥ بمؤامرة بريطانية صريحة من خلال الإلحاح على الشيخ خزعل الكعبي ـ وهو الذي كان حينذاك مقيماً في البصرة ـ لحضور حفلة وداع قائد القوات الإيرانية الغازية للأحواز على السفينة التي جرى فيها اختطافه إلى طهران ، من الناحية الثانية ، أما الإستناد إلى رؤية غربية كتبها «علماء» يتخذ بعضهم من صفات الإستشراق غطاءً تمويهياً لهم ، ففضلاً عن كونها تتصادم مع الرؤية العربية الإسلامية للتاريخ والماضي والمفاهيم ، فإنه يتعارض مع الحقائق العلمية التي بحثت في نشوء المفاهيم الخاصة بالمنطقة ، من قبيل الشرق الأدنى والأوسط وإسرائيل ، وغير ذلك ، من الناحية الثالثة .

رابعاً : إن الوطن العربي كله ، هو واقع موضوعي . . . مفهوم حِسي ، يسوده منطق ثقافي وحضاري عربي إسلامي ، من أقصاه إلى أقصاه ، خصوصاً قبيل ١٩٢٥م ، كان ممتداً من المغرب العربي الكبير ، غرباً ، إلى العراق والأحواز العربية شرقاً . وتخوم الخليج العربي هي مياهٌ تقع على ضفافها الجنوبية ... أي على سواحل منطقة الأحواز العربية وبلدان الخليج العربي ، وتسكنها شمالا وجنوباً القبائل العربية : المكون الإجتماعي الأساسي للسكان منذ آلاف السنين ، تلك هي حقيقة موضوعية عصية على الإنكار مهما كانت الحجج البلاغية قوية .

لقد أقرَّ ـ على سبيل المثال ـ أبرز قائد فارسي للقوات التي كانت تعبد النار خلال مرحلة الفتوحات الإسلامية التي كان العرب المسلمون يشكلون وحدهم قوام قوات الفتح الإسلامي للأراضي الفارسية ، بحقيقة عروبة الأحواز تحت وطأة الهزائم العسكرية التي شنها العرب المسلمون ضد ناكري عبودية الله لصالح عبودية البشر ، وجاء هذا الإقرار غير المقصود والإعتراف غير المعهود في إطار

= في الحقيقة أنَّ القضية الأحوازية تثير «العطف والشفقة» على بعض «المفكرين العروبيين» ، الذين يجهدون أذهانهم وأفكارهم ويسيلون أحبار أقلامهم لنصرة قضايا بعيدة عن الهموم المباشرة لوطنهم العربي ، و«يتناسون» في آنْ واحد ، شؤون وشجون القضية القومية العربية القريبة منهم، فالأحواز الذي يقطنه عدة ملايين من المواطنين العرب هم محرومون من مدرسة إبتدائية واحدة ـ نعم واحدة فقط ـ يدرس فيها أطفال ينحدرون من الأرومة الإجتماعية العربية المواد التدريسية بلغتهم الأم التي هي ـ فوق ذلك ـ لغة مقدسة وفق المعايير الحضارية الإسلامية ، ويعدّها بعض الفقهاء ـ إنْ لم نقل كلهم ـ لغة أهل الجنة . وكذلك ، يمنعون بشكل رسمي من تسمية أبنائهم بأسماء ذات صلة بالتراث العربي الإسلامي ، كأبي بكر ، وعمر : مطفيء النار المجوسية ـ ومن هنا منبع حقدهم الإستثنائي عليه للدرجة التي أقاموا لقاتله : أبو لؤلؤة المجوسي ضريحا خاصاً «بابا شجاع» ـ وعثمان ، وياسر ، وعرفات ، وعبد الناصر ، ومهند ، وشيماء ، ورائد ، وغير ذلك من الأسماء المتعلقة بالمضامين العربية ، كونها لا تتوافق مع الرؤية الطائفية الصفوية ، أو ذات علاقة بما آلت إليه القومية الفارسية في الماضي ، التي تسببت في هزيمتهم إبان المراحل الأولى من النهضة العربية الإسلامية ونشوء الخلافة العربية .

نزعة تجميع المهزومين لقواهم العسكرية بالإعتماد على شحذ الهمم الفارسية عبر مخاطبة الرمز الفارسي يزدجرد بحقيقة تمايز الفرس عن الآخرين ، وتدنيسهم لأراضي الأقوام الأخرى وذلك من خلال الكلمات التالية : «أرضيتم يا أهل فارس إنْ غلبتكم العرب على السواد وما والاه والأهواز ، ثم لم يرضوا بذلك حتى توردوكم في بلادكم وعقر داركم» ، وتنطوي هذه الفقرة من خطاب يزدجرد على التمايز الإجتماعي الكلي من ناحية التركيب القومي بين التكوين الإجتماعي الفارسي ، من جهة ، وإختلافه عن المكون الإجتماعي الذي يقطن بلاد السواد وبلاد الأحواز [1] ، من جهة أخرى ..

كما تضمن كتاب السيد العلامة المرحوم أحمد سوسة ، المعنون «حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور» وهو الخبير الجغرافي والعالم الآثاري والمثقف العراقي البارز . . . تضمن رسماً لخريطتين عن الواقع العربي في الفترات الزمنية السحيقة الموالية لما قبل تحرير أراضي فارس من ربقة عبودية النيران إلى فضاء عبودية الله الواحد الصمد ، تظهران الطبيعة القومية لسكان العراق الجنوبي والمنطقة الأحوازية ، شبتهما هنا لدلالتهما التاريخية [2] .

(١) راجع كتاب إستراتيجية الفتوحات الإسلامية : سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية ، تأليف أحمد عادل كمال ، إصدار دار النفائس ، الطبعة الخامسة ، سنة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ، ص ١٦٣ .

(٢) راجع كتابه المعنون حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، تأليف الدكتور أحمد سوسة ، عضو المجمع العلمي العراقي ، إصدار دائرة العلاقات العامة ، وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية ، السلسلة الإعلامية ، رقم وسنة إيد عه ١٩٧٩ ، ص ٢٨٣ وص ٢٨٧ .

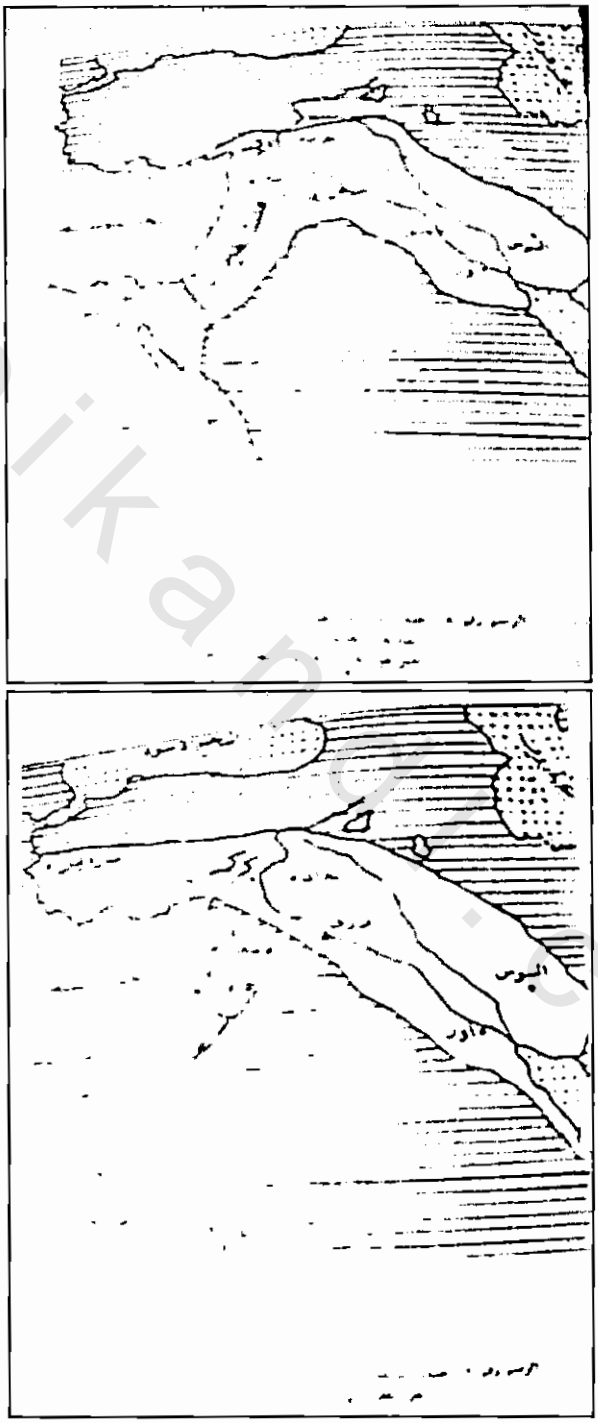

خامساً : كما أقرت المخابرات البريطانية بلسان العالم والكاتب السيد ج . ج لوريمر على تلك الحقيقة في كتابه : دليل الخليج ، المؤلف بقسميه التاريخي والجغرافي من أربعة عشر مجلدًا ، والذي صدر في العام ١٩٠٨م والمعنون دليل الخليج ، وتُرجم في أوائل الستينات ، وهو عبارة عن تقرير مخابراتي بريطاني ميداني جرى تسجيله قبيل حلول القرن العشرين، في إطار الاستعدادات السياسية للدولة الإستعمارية العالمية المسبقة والأولى في التاريخ الأوربي الحديث. . . أي المملكة البريطانية ، لإحتلال المنطقة العربية المشرقية ، وكان مسؤولة الأمني والأساسي : أي لوريمر ، حريصا على المعلومات الخاصة به عبر حفظه في مواقع أمينة بمدينة «سملا» الهندية ، ويحتفظ به ـ فوق ذلك ـ في خزانته الحديدية ولا يترك مفتاحها إلا في حوزته الشخصية إذ بمجرد أنْ تتضمن التقارير الإستخبارية موضوعة الأحواز في سياق الكتابة عن الخليج العربي وبلدانه ، باعتبارها جزءًا منه أبلغ دلالة مادية على كون منطقة الأحواز والخليج منطقتين عربيتين [1].

لذلك كله يمكن القول ، وكذلك ، التأكيد : إنَّ المفاهيم الإستراتيجية والسياسية، الوطنية والقومية، لا تتغير بالتقادم الزمني ، إذا شئنا إستخدام كلمات وألفاظ الأستاذ محمد حسنين هيكل بالذات في أحد كتبه ، كون «السبب أنَّ استراتيجيات الدول مطالب جغرافية وتاريخ نشأت وترتبت عليها دواعي مصلحة وضرورات أمن ، وتلك مسائل لا دخل لها بالوحي ولا علاقة بالمفاجآت المثيرة

(١) راجع كتاب دليل الخليج : القسم التاريخي ، الجزء الخامس ، والجزء السابع ، تأليف : ج ، ج ، لوريمر، المطبوع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، أمير قطر ، من دون تاريخ أو ذكر لمكان الصدور ، ص ٢٣٩٥ ـ ٢٥٤٥ وفيها مسح لكل الشؤون السياسية لإمارة عربستان منظوراً من موشور الصراعات البريطانية الروسية ، أما الجزء السابع فقد تضمن أسماء البعثات الدبلوماسية البريطانية في الأحواز : عربستان وفق المفاهيم التي يستخدمها الكتاب . وكذلك مراجعة القسم الجغرافي من تلك الموسوعة، دليل الخليج ، الجزء السابع ، إذ تنطوي بعض الصفحات المكونة له على التفاصيل اللازمة لمعرفة القبائل العربية التي تقطن في الأحواز وتشكل الوضع الإجتماعي هناك .

مسرحية أو سينمائية»[1]، فمفهوم الخليج العربي هو قائم منذ قرون زمنية ترتبط بالنهضة الإسلامية في القرن السادس الميلادي، إنْ لم يكن قبلها، وما يزال ذلك المفهوم شاخصاً شخوصاً مادياً وواقعياً، رغم جهود كل «العلماء الاستشراقيين» و«الأكاديميين اليهود» والحاقدين السياسيين من التكوينات الإجتماعية الأوربية الأخرى على الأمة العربية والعالم الإسلامي من الكتّاب الغربيين أو غيرهم، خصوصاً مفكريهم السياسيين، والذين كانوا المصدر الأساس في تحديد ونشر مفاهيم الرؤية الفارسية للخليج العربي، إذ كانوا ينظرون للمنطقة من خلال موشورين اثنين: الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية العثمانية، ويغيبون تماماً المفهوم الحضاري للوطن العربي، في حين أنهم قرروا منذ ١٩٠٤م ـ ١٩٠٧م[2]، في مؤتمر بانرمان الرؤية السياسية الإستراتيجية لتجزئة الوطن العربي والاستيلاء عليه عبر إستخدام مفاهيم سياسية واضحة: طابعها الرؤية السياسية المرتبطة بالمصالح الإستراتيجية للدول الأوربية الاستعمارية الرئيسة.

(١) راجع كتبه الصادرة تحت عنوان: كلام في السياسة، نهاية طرق: العربي التائه ٢٠٠١، إصدار الشركة المصرية للنشر العربي والدولي، القاهرة / مصر، الطبعة الثانية شباط / فبراير ٢٠٠٢، ص ٢٧٧. وعن مضمون الرؤية السياسية الإستراتيجية التي لا تتغير بالتقادم، يرجى مراجعة الكتاب الصادر عن الشركة المصرية للنشر العربي والدولي والمعنون الزمن الأمريكي من نيويورك إلى كابول، الطبعة الثالثة أغسطس عام ٢٠٠٢، القاهرة / مصر، ص ٨ ـ ٦١، والتقرير الرئاسي الأمريكي والذي عنونه: حذر مشوب بالقلق جاء فيه: خريف خطر، ص ٦٦ ـ ١٣٨.

(٢) راجع الهامش المرقم بالعاشر، وبصدد الرؤية البرنامجية لهم والتي ما تزال شواهدها ماثلة يقترح المؤتمرون التالي: ١ ـ على الدول ذات المصالح المشتركة أنْ تعمل على إستمرار تجزئة المنطقة... وتأخرها، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل. ٢ ـ ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الأسيوي، وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري، قوي وغريب، يحتل الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطها معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للإستعمال وعدوة لسكان المنطقة».

لذا كانت طرق البحث العلمية البحتة هي ناظم تفكيرهم ، كونهم كانوا يتعاملون مع حقائق تاريخية وجغرافية ملموسة [1] ، وليس عبر الأماني الفردية أو

(١) ورغم أن الموضوع المثار هنا يتمحور حول مفهوم الخليج العربي ومبررات الأخذ به ، على حساب الإدعاءات الإيرانية ودعاية تخرصاتها حول ذلك المفهوم الذي تنعته بـ«الخليج الفارسي» ، إلا أننا نتطرق هنا للأساس المادي لطبيعة التكوين الجيولوجي الأحوازي ، إذ تقول «الحقائق الجغرافية» المعلومات التالية : «إنَّ التاريخ الجيولوجي لأراضي كل من عربستان والسهل الرسوبي من العراق متماثل ، فقد تكونا في وقتٍ واحد ، {أ} ، من طمى وترسبات نهري دجلة والفرات ونهر كارون وتفرعاته ، {ب} ، فأدى ذلك إلى ظهور الأرض الحديثة على جانبي شط العرب ، {ج} ، لذا فإنَّ سهول عربستان ـ وهي تسمية حديثة لما كان يعرف قديماً بإسم (سهول سوسيانا) ـ تكونت مكملة للسهل الرسوبي في جنوب العراق ، {د} ، وهي وثيقة الإتصال معه ، فهناك مسالك برية وأخرى نهرية ، بينهما كانت متوافرة في الأزمنة القديمة ، كما هي متوافرة في الوقت الحاضر ، {هـ} ، سهلّت هذا الانتقال ، أما العلاقات المكانية الطبيعية ، التي تربط بين عربستان وإيران ، فتكاد معدومة ، إذ ليست هناك أية علاقة في التكوين الطبيعي بين سهل عربستان وهضبة إيران الجبلية ، فقد ذكر السير أرنولد ولسن في مذكراته أن : «عربستان تختلف عن إيران اختلاف ألمانيا عن إسبانيا ، {و} . إذ أنَّ إيران عبارة عن هضبة تحيط حافات من السلاسل الجبلية الضخمة تفصلها عن جميع جهاتها تقريباً ، {ز} ، ولاسيما القسم المحاذي لعربستان ، فيتكون من عدد من السلاسل المتعاقبة الشاهقة الإرتفاع ، {ح} ، التي لا تتضمن ممرات سهلة يمكن اجتيازها ، وكل ما تتضمنه وديان ضيقة لأخوار تنحدر على سفوحها ، {ط} ، يستخدمها الرعاة في تنقلهم بين أعالي هذه السفوح وأسافلها ، فالاعتبارات الجغرافية إذا أخذناها بنظر الإعتبار في تحديد المنطقة ـ وهي كثيراً ما تكون فواصل طبيعية كالجبال والبحار ـ نلاحظ أنَّ عربستان متصلة اتصالا طبيعياً بالعراق ، {ي} ، وتفصلها حواجز طبيعية ، {ك} ، عن إيران لا يمكن إغفالها كعامل مهم في تحديد تبعية الإقليم للدولة ، وقد عُرف منذ القدم أنَّ مدن عربستان جزء لا يتجزأ من ولاية البصرة ، {ل} ، ولم ترد تبعيتها لفارس عند أي رحالة جغرافي جاب المنطقة وكتب عنها ، فهي عندهم عراقية الطبيعة تماماً ، {م} ، فإنها تكون مع القسم الأسفل من بلاد ما بين النهرين وحدة جغرافية إقتصادية تشاركت سابقاً في الإزدهار السومري والكلداني ، وخضعت بعدئذٍ للعرب الذين إمتد نفوذهم عبر فارس ، {ن} .

وإلى جانب ذلك هناك بعض الخواص التي تربط أراضي عربستان بأراضي العراق ، من أهم مظاهرها : الخواص المناخية التي تتشابه فيها مع جنوب العراق وتتغاير كلياً مع إيران . وتشترك منطقة=

=عربستان مع المنطقة الجنوبية من العراق بظاهرة المد والجزر التي أثرت تأثيراً عاماً في نواحي الصرف وأساليب الري ، وبالتالي في الحاصلات الزراعية التي تشابهت ـ إضافة إلى ذلك ـ بفعل التماثل في نوعية وتكوين التربة بينهما .

والتكوين الطبيعي يؤثر ـ بصورة عامة ـ تأثيراً في التكوين الاجتماعي للبلاد ، فتشابهت عربستان والسهل الرسوبي في العراق في أنهما كانا موضع إغراء وجذب بالنسبة لسكان المناطق الجبلية والفقيرة التي تكتنفها ، {س} .

الهوامش والمراجع الخاصة بهذه الفقرة المتعلقة بالعامل الجغرافي

[أ] ـ هستد ـ الأسس الطبيعية لجغرافية العراق : ٤٦ ـ ٥٢ .

[ب] ـ ليس وفالكون (ترجمة : أحمد صالح العلي) ـ التاريخ الجغرافي لسهول ما بين النهرين : ١٩١ ـ ٢١٧ ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ـ العدد نفسه ، لقد تضمن هذا المقال بحثاً قيماً عن طبوغرافية سهول ما بين النهرين وعلاقتهما بسهل عربستان ، Willcocks : Op . cit. pp. 31 – 33 .

[ج] ـ إبراهيم شريف ـ الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام : ٣٦ .

[د] ـ أحمد سوسة ـ وادي الفرات ومشروع سدة الهندية : ١٧٢ .

[هـ] ـ إبراهيم شريف ـ الموقع الجغرافي : ٢٤٨ ، الدركزلي : ٢٨٩ .

[و] ـ Wilson : South – West Persia , p . 93 .

[ز] ـ الدركزلي : ٣٧٨ ، إبراهيم شريف ـ الشرق الأوسط : ٤٠ .

[ح] ـ Sykes . History of Persia , Vol . II , p . 366.

[ط] ـ إبراهيم شريف ـ الشرق الأوسط : ٤٠ . . Wilber : Op cit , p 12.

[ي] ـ الأصطخري : ٦٣ .

[ك] ـ ابن حوقل : ٢٢٩ ، ومما هو جدير بالذكر أنَّ الإسكندرونة سلخت عن سوريا مع أنَّ جبال طوروس تكون حدوداً طبيعية بين تركيا وسوريا ، أنظر أمين سعيد ـ الوطن العربي : ١٦٨ .

[ل] ـ الإصطخري : ٦٤ ، مجلة لغة العرب ـ ع ٤ ـ تشرين الأول أكتوبر ١٩١١ : ١٢١ Longrigg : Op . cit . p . 12

[م] ـ الدركزلي : ٢٧٩ .

[ن] ـ جان جاك بيربي ـ الخليج العربي : ٩٨ .

[س] ـ إبراهيم شريف ـ الموقع الجغرافي للعراق : ٢٥٠ .

نقلاً عن كتاب : عربستان خلال حكم الشيخ خزعل الكعبي ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥ م ، تأليف الدكتور مصطفى عبد القادر النجار ، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ٢٠٠٩ ميلادية ـ ١٤٢٩ هجرية ، بيروت / لبنان ، ص ٨٢ ـ ٨٤ .

التمنيات السياسية المؤسسة على فرضيات رؤى سياسية أيديولوجية ، ولكن الدعاية السياسية المرتبطة بمصالحها الحيوية والإستراتيجية التي كانت تلتزم بها الدول الغربية : بريطانيا وفرنسا ، والبعض الآخر من تلك الدول الأوروبية ، اقتضت اللعب بالمفاهيم السياسية لصالح مطامعها وتوجهاتها الإستعمارية على شتى الصُعد ، أو ربما كان ذلك الاستخدام جرى تداوله إنسجاماً مع رؤيتها الأوروبية السابقة[1].

إن الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل مازال متمسكاً بالتعبيرات السياسية التي سكتها الرؤية اليونانية أو الرؤية السياسية الغربية ، ومتمترساً خلف إستخدام بعض تلك المفاهيم السياسية في الصراع الجاري في المنطقة منذ الأربعينات وحتى المرحلة الزمنية التي وجّه فيها الرئيس المصري الأسبق السيد أنور السادات الضربة الإستراتيجية والقاصمة لمفاهيم وأفكار الثورة العربية المصرية التي قادها الرئيس الراحل القائد الفقيد جمال عبد الناصر ، التي كان عنوان تلك الضربة الأشهر هو إتفاقيات كامب ديفيد . وأعتقد صادقاً ، إنّ الأستاذ هيكل لا يعدّ التطور السابق أو اللاحق لتلك الكبوة الساداتية ، على صعيد الأوضاع السياسية للوطن العربي ، معياراً للقراءة الفكرية والسياسية لموضوعية .

(١) وتشير بعض المصادر العلمية «أن المركزية التاريخية ، الدينية والسياسية كان قد قادت الإغريق إلى إضفاء تسمية فارس على كل المجتمع الدي يقطن في الدولة الإيرانية ، وهي تسمية إسترجعها التقليد الغربي ، مع ترميز المؤرخين والجغرافيين خصوصاً إلى المنطقة من خلال إستعمال إسم [Perside] القليل الإستعمال» ، راجع كتاب الأستاذ هشام جعيط المعنون الفتنة : جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر ، إصدار دار الطليعة / بيروت / لبنان ، الطبعة الخامسة ، كانون الثاني ، (يناير) ٢٠٠٥ ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ .

لماذا تغيرت المفاهيم لدى البعض؟

ولكن ، هل كان الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل يستخدم تلك المفاهيم السياسية في كل الأوقات والمراحل ؟ ،وهل ما نطق به مؤخراً بالتزامن مع بروز الدعاية الصفوية الفارسية وتمسكها الحازم بمفهوم «الخليج الفارسي» كان إيماناً راسخاً في الماضي والحاضر؟ ، أم أنَّ تغيرات منطقه السياسي على هذا الصعيد قد جرى بالتتابع والتوازي مع تغييرات المنطقة العربية التي كانت عناوينها الأساس ناجمة عن المرحلة القومية العربية الحديثة ومظهرها الأساس الفكر السياسي الناصري والتجربة العربية الناصرية ؟ .

في أحد لقاءات الأستاذ محمد حسنين هيكل مع ملك العنصرية الفارسية : الشاهنشاه السابق ، أثار «الإمبراطور أريامهر» وفق توصيف الدعاية الفارسية عنه ، موضوع تسمية «الخليج العربي» الذي دأبت الأدبيات السياسية العربية على ترديده استجابة لحقائق الجغرافية والتاريخ ، وكانت الأجهزة الإعلامية المصرية في المرحلة الناصرية خصوصاً ، تلتزم بالتعبير عن محتواه بمعية تلك الأدبيات المنشورة أو المُذاعة ، أوضح الأستاذ الصحفي اللامع السيد محمد حسنين هيكل التالي : «ربما كان الذي حدث أننا وجدنا الخليج الفارسي منسوباً إلى فارس ، ثم وجدنا أنكم غيرتم إسم فارس القديم بإسم إيران الجديد . . . إنكم بهذا تركتم الخليج وحده لأنَّ البلد الذي أضفى إسمه عليه غيّر هذا الإسم . . . واكتشفنا نحن أنّ الخليج وحيد . . . ربما يتيم ، وأعطيناه صفتنا التي لم تتغير ،

وأصبح اسمه الخليج العربي . . .» [1].

وأضاف السيد هيكل إلى ذلك تفسيراته الأخرى من خلال قوله التالي : «ربما وجدت تفسيراً آخر لا أعرف هل ترضى به أم ترفضه . . . لقد وجدنا سبع دول عربية تطل عليه وهي العراق والكويت والسعودية والبحرين والإمارات وعُمان . . . ومن غير العرب فقد كانت هنا إيران وحدها . . . كانت نسبة العرب عليه سبعة إلى واحد . هل هذا التفسير مقبول ؟ [2]، فضلاً عن ذكره بكتابه «الطريق إلى رمضان» الخاص بحرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ضد كيان الاغتصاب الصهيوني ، والصادر عن دار النهار البيروتية ، ص ٢٨٧ ، مفهوم الخليج العربي بمناسبة حديثه عن إستيراد اليابان ما نسبته ٩٠٪ من النفط العربي .

ورغم أنَّ جواب الأستاذ محمد حسنين هيكل يتجنب أي ذكر محدد لا سلباً ولا إيجاباً بخصوص وجود للشعب العربي الأحوازي الذي تحتل إيران أراضيه منذ العام ١٩٢٥ ، فإنَّ دفاع السيد هيكل عن المصطلح : الخليج العربي ، ينبيء بأحد احتمالين : أما كونه مؤمناً بالمفهوم الأصيل كما تتداوله غالبية الأجهزة الإعلامية العربية ، من ناحية ، أو كان مدفوعاً بالالتزام بالرؤية الرسمية العربية ، من ناحية أخرى ، ومن غير المعروف عن السيد المبدع واللامع السيد محمد حسنين هيكل : الضليع بعلمي الجغرافية والتاريخ والمستوعب العميق لمفاهيم الصراع السياسية الدولية على المنطقة العربية وفيها ، تغيير قناعاته «الفكرية» العلمية بسهولة ، ويقدم استخلاصاته السياسية مجاناً ، وعلى مذبح العلاقات السياسية «المداهنة» مع «الشخصيات السياسية الكبيرة والنافذة» كالرئيس الفقيد جمال عبد الناصر ، أو من خلال الالتزام بالمواقف الإعلامية الرسمية لدولة مصر

(١) راجع كتابه المعنون زيارة جديدة للتاريخ ، إصدار دار الشروق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ، القاهرة / جمهورية مصر العربية ، والاستشهاد يعتمد الطبعة الثانية الصادرة في العام ٢٠١٠ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة ذاتها .

الرسمية التي يغلب على ممارسات بعض أجهزتها الإعلامية والدعائية ، في المرحلة العربية الناصرية ، البلاغة الدعائية الخالية من أي مضمون سياسي، في بعض الأحيان أو خلال أحايين كثيرة .

وعودٌ على بدء الموضوع المُثار ، فقد يقول قائل ، إنَّ السيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ينحو في أقواله القديمة ، والمستجدة ، على أرضية الولاء للقضية القومية المركزية في الوضع العربي : القضية الفلسطينية ، وإنها قد نجمت عن رؤية تكتيكية تتعلق بالدعم السياسي والمادي الذي يقدمه حكام إيران الجدد إلى القضيتين الفلسطينية واللبنانية الكفاحيتين ، عبر دعم بعض فصائلهما «الإسلامية» المقاومة ، لذلك ، فإننا نرّدُ على تلك الافتراضات بالقول ، إن الدعم المشار إليه ليس بذي علاقة بالجغرافية والتاريخ ، كتسمية للمفاهيم والمصطلحات السياسية .

٦

ماذا يقول الدستور الإيراني عن أيديولوجية السلطة؟ وما هي الطبيعة القومية للأحواز؟

ثم أنَّ السلطة الإيرانية الحالية المذهبية وفقاً لدستورها، والتي دعمت بعض الفصائل الفلسطينية أو اللبنانية ـ على الرغم من اختلافنا حول طبيعة هذا الدعم ومضمونه ـ غطت كل سياستها التوسعية أو العنصرية ضد الأمة العربية والوطن العربي بذريعة هاتين المساندتين الماديتين والماليتين، والبعض يصدق أطروحاتها السياسية مع الأسف الشديد على قاعدة المثل انقائل: «اطعم الفم تستحي العين» أو الوهم «بذريعة العلم»، في حين أن كل نصوص دستورها السياسي يؤكد الطابع المذهبي لسلطتها وبشكل مطلق!، إذ تنص المادة الخامسة من الدستور الإيراني على التالي أنه «في زمن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) تكون ولاية الأمر وإمامة الأمة في جمهورية إيران الإسلامية بيد الفقيه العادل، المتقي، البصير بأمور العصر، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير وذلك وفقاً للمادة (١٠٧)»[١]، فيما تنص المادة ١٢ «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب هو المذهب الجعفري الإثنى عشري وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير»[٢]...

وفي أية حال، فإنَّ نشر الأوهام عمى ضار... كما هو معلوم للجميع..

(١) راجع كتاب الدكتور تبرّ الفقيه: مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧٠.

(٢) المصدر السابق، ذات الصفحة.

فما جرى لمنطقة الأحواز العربية التي تبلغ مساحتها ٣٢٤ ألف كيلو متر مربع، هو إحتلال عسكري ألحق بممارسة تستهدف القضاء على الهوية القومية لسكان الوطن المحتل لصالح مفاهيم مغايرة للحقائق العينية الملموسة، وتزوير فظ قائم على الدعاية التي تناغمت مع الرؤية السياسية الغربية، إضافة إلى الجزر العربية التي بلغ عددها ١٨ في مياه الخليج العربي ومساحتها ٢٤ ألف كيلو متر مربع، كما تذكر بعض المصادر الأحوازية أو مصادر المؤيدين لها [١]، وهو ما يعادل مساحة كل

(١) راجع كتاب الأرض العربية المحتلة: الأحواز الساحل الشرقي للخليج العربي المحتل، تأليف الدكتور خالد المسالمة، إصدار مركز الدراسات الألمانية ـ العربية، بوخوم ـ ألمانيا ٢٠٠٧، مطبعة جامعة الرور، ص ٢٤، وفيما يتعلق بحجب الأستاذ محمد حسنين هيكل لحق وجود الشعب العربي الأحوازي يقول نفس الكاتب: «على الرغم من التفتيت الإداري للمناطق العربية، ظل المواطنون العرب يشكلون أغلبية السكان في ثلاث محافظات متلاصقة واقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي وهي: محافظة «خوزستان»، ومحافظة «بوشهر»، ومحافظة «هرمزغان»، هذه المحافظات الثلاثة تشكل من الناحية السكانية ومن الناحية الجغرافية، حوالي ٨٥٪ من مجموع عدد السكان ومجموع مساحة إقليم الأحواز المحتل. وتبقى نسبة ١٥٪ من سكان الأحواز ومساحة إقليم الأحواز موزع على محافظات إيرانية أخرى مجاورة وهي: محافظة «عيلام» ومحافظة «جهار محال بختيارية»، ومحافظة «كيهكيلوية وبوير أحمد»، ومحافظة «فارس». تعيش أغلبية أبناء الشعب العربي في إقليم الأحواز في المحافظات الثلاث المذكورة أعلاه، وعلى وجه الخصوص في محافظة «خوزستان»، ففي هذه المحافظة يقطن أكثر من نصف غرب الأحواز، والكثافة السكانية في هذه المحافظة عالية نسبياً. في حين أنَّ الوجود العربي في ست محافظات على الساحل الشرقي للخليج العربي وبالجوار منه واضح، ومناطق سكن العرب من القرى والمدن متصلة ولا يفصل بينها أي حواجز جغرافية أو بشرية، تصر السلطات الإيرانية على تزوير وتشويه الحقائق الديمغرافية، وتشيع بوسائل إعلامها المختلفة بأنَّ التواجد الكثيف «لعرب اللسان» موجود فقط في محافظة «خوزستان» على ساحل الخليج الشمالي. «عرب اللسان»، (عرب زابان بالفارسية)، هذا هو التعريف الرسمي للعرب في إيران، فالسلطات الإيرانية لا تعترف بالشعب العربي الأحوازي، ولا تقر بالهوية العربية لسكان الساحل الشرقي للخليج العربي. وتدعي هذه السلطات بكل صفاقة أنَّ هؤلاء المواطنين هم إيرانيون يتكلمون العربية بفعل تأثير الجوار الجغرافي عليهم، وتنكر الهوية الإثنية والقومية العربية لسكان الأحواز. =

منطقة هلال الخصيب : لبنان وسوريا و لأردن وفلسطين ، في حين أنَّ البعض يكتفي بذكر مساحة الأحواز الشمالية على الوجه الآتي : « في حين أنَّ البعض يكتفي بذكر مساحة الأحواز الشمالية على الوجه الآتي : « ١٨٩:٦٠٠ ألف كيلو متر مربع».

لقد كانت منطقة الأحواز جزءاً من الوطن العربي قبل إحتلالها من قبل إيران في العام ١٩٢٥ بتواطؤ بريطاني التي ساعدت الشاهنشاه الأسبق لتنفيذ مآربه التوسعية الخاصة، من ناحية أولى ، وجراء وجود الثروات النفطية التي تم الكشف عنها في المنطقة الأحوازية العربية ، في منطقة مسجد سليمان[1]، من ناحية ثانية ، والرؤية السياسية البريطانية التي كانت تؤكد على توحيد إيران المجزأة ، قبالة سياسة التجزئة في الوطن العربي وخصوصاً في المشرق العرب لأسباب إستراتيجية ، تتعلق في رؤيتها للدور الروسي آنذاك [2]، من ناحية ثالثة ، يشكل تجاهلها أو السكوت عن معضلتها من قبيل «ظلم ذوي القربى» ، من الناحية الرابعة ، هو الألم القومي العربي الأشد مضاضة على الأشقاء العرب الأحوازيين ، فالدعاية الغربية والصهيونية أمرهما مفهوم تماماً ، أما ما هو غير المفهوم تقولات بعض «المفكرين العرب» حول تناسيهم قضية شعب وثورة تتصاعد في أحيان كثيرة وتتعرض للقمع في أحيان أخرى ، وخصوصاً بالنسبة

=إنكار هوية المواطنين العرب في إقليم الأحواز سارت عليه كل المؤسسات الحكومية وغير الحكومية الإيرانية ، ولم تصدر المؤسسات الحكومية أو الخاصة ، الثقافية والعلمية الإيرانية أية دراسة تناقش أو تلقي الضوء على هوية السكان العرب من أبناء القبائل العربية المعروفة والمنتشرة في أغلب بقاع الوطن العربي».

(١)ومما جاء في أحد الكتب المعلومات التالية «وتمكن السيد وليام نوكس دارسي» و«بمساندة الحكومة البريطانية ، من تفجير النفط في إيران سنة ١٩٠٨ ، حيث حصل من الشاه على امتياز التنقيب والاستثمار ، عندئذٍ بدأت الإمبريالية البريطانية تفكر بجرأة في تحويل كامل الأسطول من الفحم إلى البترول» . راجع كتاب حرب البترول السرية ، تأليف جاك بيرجيه وبيرنار توماس ، ترجمة اللواء الركن محمد سميح السيد ، إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق / سوريا الطبعة الأولى ١٩٨٤ ، ص ٤٢ .

(٢)المصدر السابق ، ص٥٢ ـ ٥٧ .

لكل القوميين العرب المخلصين ، ويمكننا التساؤل أيضاً : ما بال العرب المفكرين يتغافلون عن ذكر الحقائق التاريخية والجغرافية ـ ويأتي الأستاذ محمد حسنين هيكل في جملة روادهم الهامّين ـ ومن أبرز طلائعهم، ويسرفون ـ مثلما يوغلون ـ من إغفال تلك الحقيقة العيانية الملموسة ! ؟ .

لقد كانت إمارة الأحواز تتمتع بإستقلال سياسي كبير ، لها حاكمها وتمثيلها السياسي الخارجي ، بالرغم من ملابسات ظروف ما قبيل أو بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت فيها بلدان خليجية عديدة خاضعة كلياً للحكم البريطاني المباشر، أو مرتبطة بمعاهدات مفروضة تهدف إلى تقفيص حركتهم السياسية المستقبلية ، وتحدد إتجاهات مسارها على ضوء المتطلبات الإستراتيجية السياسية للدول المستعمرة لها ، ولكن هذه المنطقة العربية الحيوية : الأحواز ، والتي يسكنها حوالي العشرة ملايين مواطن أحوازي عربي ، باتت تعاني اليوم ، وبشكل أشدّ من كل الماضي التاريخي ، من رؤية فارسية سياسية مرتكزها الأساس ممارسة سياسية وعنصرية واعية من حيث الهدف والنتائج السياسيتين ، قوامها تحركات إدارية استيطانية للأرض واحتلالية للتكوين الإجتماعي والجغرافية الوطنية ، وتشريدية للسكان الأصليين ، من ناحية ، وتوطينية للعنصر الفارسي أو اللور ومصادرة الأرض وتغيير طبيعتها القومية وتجريف الأنهار ونقل المياه إلى سيستان ورفسنجان وأصفهان ، والإستيلاء على كل الخيرات المادية المتوفرة فوق الأرض الأحوازية العربية وفي باطنها أيضاً ، من دون تخصيص أية نسبة مئوية لمدخولاتها النقدية للصرف على إعمارها أو الإسهام في تقدمها البشري ، وتغييب اللغة العربية عن كل الأطفال العرب ومنعهم من الدراسة بلغتهم الأم ، وقتل المواطنين العرب بذريعة كونهم إرهابيين أو سلفيين يخالفون الدستور الإيراني القائم على الرؤية المذهبية [1]، من ناحية أخرى ، كل ذلك على يد سلطة تدعي

(١)راجع كتاب مفاهيم الفكر السياسي في الإسلام ، الدكتور شبر الفقيه ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٧٠ .

«التدّين الإسلامي» ويلـُّف أغلب قادتها عمائمهم البيض أو السود على رؤوسهم ، في حين أنَّ دستورها يؤكد على الرؤية المذهبية البحتة ، لنظامها السياسي ولدولتها الإيرانية مما يجعلها دولة مقتصرة على التكوين الفارسي وتحكمها عقيدة اثنا عشرية «مزعومة» في حين أنها صفوية بإمتياز . كما رأينا ذلك أعلاه وهي نصوص تدل على واقع قائم لا يرقى إليه الشك ، كذلك فإنّ ملايين الأكراد والأذريين والعرب والبلوش هم وفي عدادهم من مذاهب إسلامية أخرى ، محرومون من حقوقهم المذهبية والقومية . من ناحية ثالثة .

وهذه الأعمال القمعية الشائنة ، ستفرز حتماً ردود فعل سياسية تتمحور حول الدفاع عن الذات الإجتماعية الوطنية ، بغض النظر عن طبيعة الصراعات العالمية في المنطقة ، والتي تتطلب تجريداً نظرياً عالي المستوى ، «ودوساً ثقيلاً» على العواطف الوطنية والقومية ، وهو ما يتطلب كي يتم تظهيره سياسياً : موقفاً مبدئياً وأخلاقياً وتضامنيا متعاطفاً مع قضية هذا الشعب العربي المستلب حقه والمحتلة أرضه : المظلوم حقاً وفعلاً ، و«إلا لن ينفع الصوت عندما يفوت الفوت» ، كما يقول المثل .

إننا سنقدم مثالاً سياسياً واحداً على العنجهية الفارسية.. مثالاً واحداً على المستوى الإعلامي ، وهو يتعلق بمحاولة ـ مجرد محاولة ـ أحد المفكرين العرب من المخلصين لقضايا الأمة العربية والعالم الإسلامي ، الطلب من السلطات الإيرانية الرسمية بالسماح له بزيارة «حرة» لمنطقة الأحواز كي يرى بعينه واقع الحال المأساوي للمجتمع الأحوازي ، ويصدر حُكماً سياسياً بالاستناد إلى البصر والتبصر في ذلك الواقع الذي يتبدى بأساة وقد تحولت واقعاً سياسياً قائماً ، يقيناً أنه سيواجه بالرفض مهما كانت علاقته متميزة بأولى الأمر السياسي الإيراني ، مثله مثلَ مَنْ سبقوه . ولعل الثمن الذي دفعه السيد عباس ناصر : مراسل محطة الجزيرة الفضائية ، عندما جرت معاقبته بالطرد من إيران كلها ، لأن فريق كامرته تجرأ على تصوير بعض الحقائق الإجتماعية البائسة في الأحواز ، ومن ثم عرضها

على قناة الجزيرة رغم موافقة السيد هاشمي رفسنجاني على تلك الزيارة ، لقد تمَّ رميه إلى خارج الأحواز وطهران وإيران كلها رغم أنه «شيعي» موثوق ومولود في لبنان . . . لعل ذلك الثمن الوظيفي الفادح هو مجرد «جرة إذن» لكل مَنْ يحاول الإقدام على قول الحقيقة السياسية الموضوعية .

وغداً سواء أكان ذلك في المستقبل القريب أو في المدى البعيد ، ينبغي أنْ لا يلوم أحدٌ ما نفسه أو أنفسهم ، خصوصاً ، من المفكرين العرب المخلصين ، القوى الوطنية الأحوازية وبالتالي الاستفسار عن سبب تأييدهم أو حتى الاصطفاف أو الانخراط السياسي والإعلامي إلى جانب بعض الأطراف الغربية التي تناوئ الحضارة العربية الإسلامية ، مع «الأجنبي» ضد السياسية العنصرية الطائفية لسلطة الملالي ، التي تضطهد بشكل شمولي وعام المواطنين العرب ، بلهَ ضد أبناء القوميات والشعوب غير الفارسية المقيمة داخل نطاق حدود الدولة الإيرانية الرسمية ، رغماً عنهم أو بموافقتهم .

تنويعات مضافة :

١ـ يؤكد ذلك الأستاذ محمد حسنين هيكل على وجود ٦٠٠٠ من قوات تابعة لمجموعات الحكيم وحزب الدعوة وغيرهما عبر القول بأنها : قوات شيعية تابعة لجماعة المعارضة ، وهو يدرك جيداً أنه جرى توظيفها سابقاً في جهد الجيش الإيراني ضد العراق في السابق ، وكذلك ضد قوات المعارضة الإيرانية التي حررت مدينة آمُل الإيرانية . راجع كتابه المعنون الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق ، الصادر عن دار الشروق ، الطبعة الثانية ، كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٣ ، القاهرة / مصر ، ص ٣٧٤ . كما أنه يذكر في كتابه الآخر عن العدوان الأمريكي على العراق بهذا الصدد : «وللإنصاف أيضاً فإنَّ الحكومة الإيرانية في بداية الأزمة وحتى قرب نهاية الحرب ـ لم تتردد في تقديم تعهدات إلى الحكومة العراقية مفادها أنَّ إيران لن تستغل ظروف العراق الصعبة وتحاول تأليب الشيعة

على بغداد ، لكن سير المعارك حدا بطهران إلى إعتبار نفسها في حل من سابق تعهداتها ، وفي الوقت الذي حاول بعض سكان الجنوب في الظروف الصعبة التالية للحرب أنْ يحموا أنفسهم بإظهار هويتهم الشيعية ، فإنَّ بعض العناصر في إيران لم تلبث أنْ تقدمت للساحة ، فإذا ألوف من حرّاس الثورة الإيرانيين يدخلون بسلاحهم إلى مناطق جنوب العراق ، وإذا الفتنة تتحرك» راجع كتابه حرب الخليج : أوهام القوة والنصر ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م إصدار مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة / مصر ، ص ٥٧٠ .

وفي تقديري أنَّ المسألة ليست مجرد عناصر في إيران قامت بهذا الدور السياسي المشين والقذر ، وإنما هي سياسة فارسية إيرانية مبرمجة تعلن قياداتها العنصرية والطائفية غير ما تستبطن ، توحي بالنوايا السياسية لطيبة ولكنها تستعد بشحذ سكاكين الغدر ، وتوالي الحوادث اللاحقة برهنت عشرات المرات على أنْ الحقد الطائفي والعنصري هو الذي يحرّك المشاعر الفارسية الصفوية الحاكمة ويدفعها للممارسات السياسية المجرمة ، ولمزيد من معرفة السلوك السياسي الإيراني يجدر بنا مراجعة ملفات «إيران كيت» ، وكتاب حلف المصالح المشتركة: التعاملات بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة ، نشر مكتبة مدبولي ٢٠٠٨ ، وكتابنا المعنون الرؤية السياسية الإيرانية على ضوء التراث والتجربة ، الصادر عن مكتبة مدبولي ٢٠١١ ، وخصوصاً القسم الثاني.

٢ـ والتي شبّه فيها الأستاذ محمد حسنين هيكل المالكي بـ«الكلب» عندما أورد المثل المتداول في ريف مصر ـ كما قال ـ عندما يفتقد البعض الخيول يشدون على الكلاب سروج ، وإيراد هذا المثال هو كناية واضحة عمن يتحكم بقرار العراق على المستويات الأمنية المفصلية وعلاقاته بالأنظمة المجاورة .

٣ ـ في الحقيقة أنَّ المرء يقف حائراً أمام مواقف الأستاذ محمد حسنين هيكل السياسية على هذا الصعيد ، لأنه يكتنز المعلومات كلها عن الواقع المادي الملموس ، فهو على سبيل المثال ، يؤكد على حرص العنصرية لشوفينية الفارسية

في عهد الشاه على «تجاهل المراحل الأولى من العصر الإسلامي ، أو أي شيء يربط بين إيران والعالم العربي بشكل واضح» ، كان حديث هيكل ذاك بمناسبة إقامة نصب تاريخي لتخليد المراحل من عهد قورش إلى حكم الشاه ، فهل حاول الملالي من حكام إيران الحاليين تصحيح هذه النظرة العنصرية ؟ أبداً ، بل أضافوا لها نظرة احتقارية مضافة ، وليس تجاهلية لعموم التاريخ العربي فقط ، مثلما أسهموا بشكل فعّال في تفتيت وضعه الاجتماعي من خلال النفخ في نيران الأحقاد الطائفية ودعم منظماتها مالياً وتسويق مواقفها السياسية إعلانياً ودعائياً . راجع كتابه المعنون مدافع آيات الله : قصة إيران والثورة ، الطبعة السادسة الصادرة في عام ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢ م ، من دار الشروق ، القاهرة / جمهورية مصر العربية ، ص ١٦٠ .

٤ ـ وأخيراً ، نود الاستشهاد بمصدرين من الإنتاج الثقافي للأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ، الأول مدافع آية الله : قصة إيران والثورة ،ص ١٦٤ التي يتطرق إليها من خلال القول : «وينتج عن المركزية المتزايدة اضطرابات بين الأقليات في كردستان وأذربيجان وبلوخستان» ، ولكن السؤال الذي ينبثق هو أين العرب من أبناء الأحواز الذين كانت الإعدامات بحقهم تتصاعد والهجرات البشرية تتزايد والسجون تستقبل منهم المئات ، إنْ لم تكن الألوف ، أم أنّ المعلومات الفارسية غدت هي «الوقائع المقدسة» ، لذا لا ينبغي الإشارة إلى نواقصها مهما كانت صغيرة؟ .

وعلينا قراءة المعلومات التالية ، لكي نستفيق من غفلة الرؤية السياسية العابرة ، ولكي نتمكن من التدقيق في وقائع الحياة السياسية للعرب الأحوازيين ، ونستكشف مدى الإجحاف الذي حملته تلك الكلمات «الهيكلية» عن الواقع القائم غداة ثورة الملالي . . . نقرأ التالي : «انتفض الشعب العربي الأحوازي في وجه الظلم وفي وجه الإحتلال الفارسي أكثر من مرة . كان من أهم تلك الانتفاضات الجماهيرية في هذا الإقليم العربي المنسي وأكثرها دموية ، هي

انتفاضة ١٩٧٩ بعد وصول القوى الدينية بقيادة الخميني إلى السلطة ، خرجت الجماهير العربية في مظاهرات سلمية تطالب بإعطائها حقوقها المدنية التي وُعدوا بها من قبل القادة والساسة الجدد ، تلك الحقوق التي حُرموا منها طوال فترة الحكم البهلوي ، هذه الجماهير وقواها السياسية التي ساهمت مساهمة كبيرة في إسقاط الشاه ونظامه الجائر من خلال الإضراب العام الذي قام به عمال حقول النفط وعمال مصفاة عبادان في الإقليم العربي ، تلك الإضرابات في حقول وتصنيع الطاقة الضرورية التي شلّت مظاهر الحياة في كل إيران ، وأجبرت الشاه محمد رضا على الرضوخ والموافقة على الخروج من طهران ، وسارعت بشكل مؤثر على إسقاط نظامه بإعتراف مجمل القوى السياسية الإيرانية ، اعتقدت الجماهير العربية بأنَّ القوى الدينية الثورية الجديدة في طهران ستقدر موقف ونضال الجماهير العربية في إقليم الأحواز ضد نظام الشاه البائد ، وستتجاوب مع مطالب أبناء الأحواز العادلة في إعطاء حقوقهم السياسية والإجتماعية المسلوبة منذ عقود طويلة أثناء حكم العائلة البهلوية ، ومساواتهم [مع الآخرين] أسوة ببقية الشعوب الأخرى في إيران .

خاب ظن هذه الجماهير وهي تواجه الرصاص ودبابات السلطة الدينية الجديدة وهي تحصد أرواح الشباب والشابات والأطفال والنساء العربي المنتفضين في الشوارع والساحات العامة في مدينة الأحواز العاصمة ومدينة المحمرة والمدن العربية الأخرى في الإقليم . في هذا اليوم الأسود الذي سيبقى شاهداً على بربرية وعنصرية الحكام الجدد مهما ادعّوا وتبجحوا باتباع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، مجزرة المحمرة في ٢٩ / ٥ / ١٩٧٩ والتي عرفها التاريخ بيوم «الأربعاء الأسود» ، تلك المذبحة الكبرى التي قادها الأميرال أحمد مدني ، الحاكم العسكري المفروض على الأحواز ، أوقعت في يوم واحد فقط أكثر من ألفي شهيد {٢٠٠٠} ، من الشباب والأطفال والنساء والشيوخ بالإضافة إلى ضعف عددهم من الجرحى والأسرى ، يوم الأربعاء الأسود المشهود عام ١٩٧٩

ـ {أي قبل صدور الطبعة الأولى من كتاب مدافع آية الله : قصة إيران الثورة، بسنتين على الأقل ، إذ صدرت طبعته الأولى ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، كما تقول المعلومات المثبتة في الكتاب ملاحظة أكتبها بمناسبة إيراد هذه الملاحظة النقدية على ما ورد في كتاب الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل} ـ شكل العرب الأحواز نقطة فصل وطلاق نهائي مع سلطات طهران العنصرية ، وكشفت حقيقة حكام طهران الموتورة والحاقدة على كل ما يمت بصلة للعرب ، حتى لو كان الضحايا من الناحية الدستورية الإيرانية والأخلاقية الدينية من رعايا دولة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأخوة في للدين والمذهب التي ما انفكّ حكام إيران يحرصون على إبرازه وطرح أنفسهم بمناسبة وغير مناسبة ، كحماة لرعليا ومواطني المذهب الجعفري ، أصر الإيرانيون المتدينون في أيام حكمهم الأولى على تأكيد الهدف القومي والعرقي في سياستهم الداخلية والخارجية . كان عرب الأحواز أول ضحايا حكم المتدينين الجدد» ، راجع كتاب الدكتور خالد المسالة، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

تجدر الإشارة إلى أنَّ السيد عادل صدام السويدي قام بجهدٍ توثيقي وأرشيفي لتلك المجزرة ، وهي منشورة على الموقع الإلكتروني المعنون : www.arabistan.org، ومنشورة كذلك في المجلة المعنونة بالأحواز العربية ، عيلام ، ويمكن كذلك مراجعة دراسته ، ودراسة شاهد عيان هو السيد عمر أو زلام ، في الجزء الثالث من كتابنا هذا .

أما الكتاب الثاني فهو : «العربي التائه»للسيد الأستاذ محمد حسنين هيكل ، الذي أوجز في الصفحة ٢٥٢ من كتابه التالي ـ بعد أنْ ينوه عن طبيعة قراءاته وفق الترتيب : السير ، وأعمال في التاريخ والسياسة والحرب ، والنوع الثالث ما يتصل بالفلسفة والفكر . لذلك فهو يؤكد على اصطفائه الكتب التالية للقراءة على الساحل الشمالي لإجازة الصيف وهي على الوجه التالي : {صنع اليابان الحديثة}

لـ: «هربرت بيكس» .حياة أنديرا غاندي ، لـ«كاترين فرانك» . بيت الأسرار (عن وكالة الأمن القومي الأمريكي) لـ«جيمس بامفورد» . شخصية الملكة فكتوريا ، لـ«كريستوفر هيبرت» . صليب الفارس عن المارشال الألماني إروين روميل) ، لـ«دافيد فريزر . يوميات الحرب الكاملة ، لـ«الماريشال آلان بروك» . فرنسا سنوات الظلام (١٩٤٠ ـ ١٩٤٤) ، لـ«وليان جاكسون» . تكوين العقل الحديث ، لـ«بيتر واطسون» . الطلسم (السباق إلى حل الشفرات السرية للدول الكبرى) ، لـ«سيباج مونتيفوري» . ميزان القوى العسكرية في الشرق الأوسط ٢٠٠١ ، لـ«أنتوني كرودسمان . } ، ولكن قراءة لقائمة المختارة لما تقدم ، والتدقيق فيها ، يفرز سؤالاً بالضرورة حول غياب أي كتاب عن الواقع التاريخي والجغرافي للوطن العربي ، بأجزائه المحتلة أو غير المحتلة ، فهل يكمن تفسير هذا التجاهل لحقيقة المنطقة القومية ومكوناتها الإجتماعية ، ومآلاتها التاريخية من «تحرر» أو إحتلال أجنبي ، بطبيعة تذكر أو قراءة الأبعاد العالمية ونسيان أو إغفال ما تحتويه المنطقة العربية من حقائق سياسية راهنة وملموسة . . .

ربما يكمن الجواب على ذلك التساؤل ، في أنَّ تلك القراءات كانت أحد المكونات السياسية لثقافة الأستاذ الكبير ، ولكننا نتساءل مع ذلك ، مرة أخرى ، بالقول : أين الذاكرة التاريخية التي تناست منطقة الأحواز العربية ، والخليج العربي ، والحديث عن مصير العراق ،المحتل، في منظومة التحليل السياسي والتقرير الاستنتاجي ، على ضوء «العقل» الذي يفكر على أنوار شاشة الذاكرة الهيكلية المكتنزة ؟ ! [1] .

***

(١)راجع كتاب الأستاذ محمد حسنين هيكل المعنون كلام في السياسة ، نهية طرق : العربي التائه ٢٠٠١ ، إصدار الشركة المصرية للنشر العربي والدولي ، الطبعة الثانية فبراير ٢٠٠٢ ، القاهرة / جمهورية مصر العربية ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .

في أية حال ، لم يرّدُ الإعلان «الإسلامي» الإيراني على تحية الأستاذ محمد حسنين هيكل ، وغيره من الكتّاب والمثقفين المصريين ،ممن يلتزمون الفكر الناصري ، بتحية أحسن منها ، ولا حتى بما يماثلها ، جراء مساندته المفرطة ـ ومساندتهم أيضاً ـ لإيران الرسمية بذريعة تعاطفه الكبير مع الثورة الإيرانية رغم نزوعها الشرير حول الهيمنة الفارسية على بعض البلدان العربية واضطهادها الكبير والشرس للشعب العربي الأحوازي ، بل أصدر أحد أصواتها الرسمية ، وهو ما يسمى بـ«حجة الإسلام والمسلمين / سيد هادي خسرو شاهي : رئيس مكتب رعاية مصالح الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقاهرة . . . أصدر كتاباً مليئاً بالنقد السياسي لمصر عبر قوله أنَّ ما حدث في مصر في أعقاب ثورة عام ١٩٥٢ هو انقلاب عسكري ، وليس ثورة ، مع أنَّ الشواهد التي أعقبت تأميم قناة السويس تقول أنَّ المنطقة العربية كلها ، من المياه المغربية وحتى مياه الخليج العربي كانت أوضاعها السياسية تمور تحت تأثيرات الثورة العربية المصرية ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، خصص الكتاب على مدى ٢٠٨ صفحات لكي يناقش «مزاعم دعم مصر للثورة الإيرانية» إذ يقول المؤلف في مقدمته التوضيحية عن هدف كتابه هو دحض محتويات كتاب «عبد الناصر وثورة إيران» للسفير المصري في سويسرا ، وبالتالي فإنّ هذا الكتاب «من صفحته الأولى وحتى صفحته الأخيرة ، يبني موقفاً غريباً بالنسبة للثورة الإسلامية في إيران ويدّعي أنَّ حكومة الرئيس عبد الناصر دعمت ؟ رجال الثورة الإيرانية ، وهذا الدعم ! هو الذي ساهم في إنجاح الثورة الإيرانية ؟ ! . . . ، وظل هذا الموقف يتعسف في إثبات ذلك ويحرف الحقائق بوضوح، وفي سياق التعسف أو التلفيق، يحاول أنْ يشير من بعيد بأنّ الإمام الخميني كان من بين الذين دعمتهم حكومة عبد الناصر» ، وأضاف رئيس مكتب رعاية مصالح الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالقاهرة:«رأينا إنَّ هذا الأمر لا يمكن السكوت عنه ، لأنه باختصار منافي للواقع ومجافي للحقائق ومخالف للموضوعية فإذا كنا أمام كتابة التاريخ، فالتاريخ لا ينبغي أنْ يخضع للأهواء

الذاتية والأكاذيب أو التزوير والتلفيق، وكتاب فتحي الديب مع الأسف الشديد، منذ بدايته امتلأ بالأخطاء التاريخية والموضوعية . . .» ، ص ٧ .

ولا غرو في أقوال «حجة الإسلام والمسلمين» ضد مصر عبد الناصر ، ولا عجب أيضاً ، طالما نسب ذلك «الحجة النبيه» ، فعل ثورة الشعوب الإيرانية التي جرت فيها دماء الشهداء الأماجد من كل القوميات المكونة للدولة الإيرانية ، لشخص واحد كان قابعاً في مدينة النجف والدولة الفرنسية : هو ما يسميه بالإمام المجتهد روح الله الخميني ، في حين أنه شطب بخفة مَنْ يتعامل بقوانين التاريخ وتغييراته التراكمية ، على جهود كل الآخرين من ساكني الدولة الإيرانية في الإسهام بالثورة الإيرانية العظيمة ، بدءاً بطلائع الكفاح الشعبي المسلح في جبال «سياه كُل» : الذي ابتدأ قبل اندلاع الثورة بعقدٍ من السنوات الزمنية الذي سبق انتصار الثورة ، كمنظمة فدائيي الشعب ومجاهدي الشعب ومجموعة فلسطين اليسارية ذات الاتجاه الصيني ، وانتهاء بحركة الشعوب والقوميات المكونة للدولة الإيرانية كلها ، والتي كان من بين أبرزها إضرابات عمال النفط في عبادان الذي يشكل العمال العرب أغلبيتهم وكل الأحزاب التي كانت تناوئ نظام الشاه العميل ، فالتزوير والتلفيق لن يتوقف أمام جبل الحقائق التاريخية العنيدة، ولا بد أنْ يطال قلم حجة الإسلام والمسلمين المليء بدعاوى المبالغة أو التلفيق ـ بالمعنى اللغوي ـ بلّة حتى الكذب الصريح، جميع الظواهر الكفاحية التي ساهمت بنجاح الثورة ، بدءاً بالعمل الثوري المنظم أو العفوي، وانتهاء بكلمة الإعلام الإيراني والعربي والإعلام العالمي المناضل، التي كانت تقول كلمة الحق المبين أمام ضوضاء تشويش الدعاية والإعلام الفارسي البهلوي الشاهنشاهي الجائر، وما بينهما من أفعال وطنية وثورية كثيرة ووفيرة .

راجع ذلك الكتاب المعنون «حقيقة علاقة عبد الناصر والثورة الإسلامية الإيرانية» ، تأليف سيد هادي خسرو شاهي ، إصدار دار الهدف للإعلام والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، دون الإشارة لمكان الصدور .

إضافة ذات دلالة:

ربما كان إقران الموضوع التالي، بما تقدم نشره، مفيداً للقارئ على العموم والمتابع خصوصاً، لذا ارتأينا إضافته بسبب وحدة الموضوع المثار، ومن الجدير ذكره إنني نشرته بالتاريخ المذكور في مقدمته، في العديد من المواقع الإلكترونية، وآمل أنْ يكون الصواب من الاجتهاد الذي ارتأيناه.

***

شماعة «التفكير الإستراتيجي» واحتلال الوطن العربي قطعة قطعة

باقر الصراف
كاتب عراقي مقيم في هولندا
١ / ١١ / ٢٠١١

في كل مناسبة هامة تستدعي تفسير الأحداث السياسية «الراهنة»، يظهر السيد محمد حسنين هيكل :والسياسي والصحفي اللامع على شاشة قناة «الجزيرة» الفضائية القطرية المرئية، يحرص من خلالها، على إيصال رسالة «مغلَّفة بالعِلم والرؤية السياسية الإستراتيجية» إلى جمهورية إيران «الإسلامية»، على أنها هي الهدف السياسي الإستراتيجي للعدوان الأمريكي القادم في المنطقة العربية وجوارها، وكان آخر تلك الرسائل «الفكرية والسياسية» ما تضمنه القسم الثاني من حواره مع السيد محمد كريشان الموظف في قناة الجزيرة، وذلك في يوم الجمعة الموافق ٢٨ / ١٠ / ٢٠١١، ومما جاء في تلك المقابلة بما يخص موضوعنا قوله «البات الحاسم الجازم»: «أنا حأقول لك حاجة ده يقتضيك انك تضع أين المواجهات الرئيسية في المنطقة، عايز أقول لك أن المواجهة الرئيسية الموجودة في المنطقة هذه اللحظة هي إيران، وأنا قلق جدا مما سوف يجري بالنسبة لإيران، وارى التهم تلفق أو تجهز، في الملف الإيراني وإذا أردت أن تحارب إيران فلا بد أن تأخذ العالم الإسلامي إلى جوارك، [. . .]، دول يقدروا

يساعدوه في حرب سنّة ضد شيعة، ولذلك كنت بقول للإخوان مسلمين انتبهوا لأن الاعتراف بكم ليس بريئاً ، [. . .] ، في جبهة بتيجي في المواجهة القادمة، في جبهة إيران وهذه أميركا مختصة فيها بالدرجة الأولى ومعها إسرائيل» .

إذن ، هناك المواجهة الحربية القادمة ستكون حتماً بين أمريكا وإيران ، وهو ما يجعل الأستاذ «قلقاً جداً» ، لذلك هو يرجو أنْ لا يضل أحدٌ ما الطريق في استبدال أولوياته في المستقبل ، وبالتالي قد ينخرط في الجهد الأمريكي ضد إيران ! ولا يجب على الإخوان المسلمين أنْ يظلوا أسرى فضل الاعتراف الأمريكي بهم .

ووعي التطورات السياسية في المستقبل ، هو دافعه الأساس في التصريح ذاك ، كما يبدو ، والذي يتكرر منذ ذلك الحين . . . بله في كل حين . وفي أية حال ، كان رأيه الفكري والسياسي ذاك هو جوهر موقف الأستاذ الكبير هذا في بداية العقد التسعيني من القرن الماضي ، ولكن مع ذلك فقد أقدمت الولايات المتحدة على إحتلال العراق بعد ثلاثة عشر عاماً من الحصار الشامل والذي أعقب الحرب التدميرية التحطيمية للعراق ، وذلك بمساعدة الميليشيات المسلحة وقياداتها السياسية ، التي كانت تعيش في جمهورية إيران «الإسلامية» ، على المستوى التحريضي الكاذب والمعلومات الحقيقية والمفبركة والمعركة العسكرية ، وبعد أنْ سمح ما يسمى بالمرشد الأعلى : علي خامنئي لمجلس الحكيم وقوات بدر بالتنسيق مع الولايات المتحدة ولكن «الهدف الإستراتيجي في الحرب الأمريكية على إيران ما زال ماثلاً» .

كما أقدمت الولايات المتحدة وشقيقاتها الأوربيات على إحتلال ليبيا في العام ٢٠١١ ، وجرى تحطيم الجماد والعباد من أجل أهداف إستراتيجية تتعلق بالسياسة الغربية ، وليس من بينها سببٌ يتمحور حول وجود الزعيم الليبي معمر القذافي على رأس السلطة ، ولكن مع ذلك ، ظلت الهواجس السياسية تتملك رأي الأستاذ من الحرب القادمة شاخصاً بقوة وذلك بسبب «الهدف الإستراتيجي

للأمريكيين في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

وأسهمت إيران في تفتيت الوضع الإجتماعي اليمني عبر الدعم السياسي والمادي والمعنوي للحوثيين الذين لا يوارِبون في التزامهم الطائفي الكريه والموالي لإيران ، ناهيك عن دعم الانفصاليين الجنوبيين ضد الوحدة اليمنية ، ولم نسمع كلمة واحدة من الأستاذ هيكل حول هذا الإسهام التفتيتي والتدخل الصارخ في الشأن اليمني ، ربما بسبب أنَّ «الهدف الإستراتيجي في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

والتدخل الإيراني الطائفي في البحرين ما زال ناشطاً على قدم وساق عبر مشارب عدة وقنوات شتى والتبرعات ما تزال تنهال على الأشقاء في الرؤية الطائفية، رغم أنَّ وحدة الأمن القومي العربي هي الضحية على شفرة المقصلة الإيرانية وتدخلاتها السافرة ، ولكن الأستاذ هيكل لم يصرح بكلمة واحدة لردع الظالم على الطريقة النبوية المحمدية ، من أجل الحفاظ على عروبة البحرين وتكامل مجتمعه ، ربما بسبب كامن قوامه «الهدف الإستراتيجي للأمريكيين في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

والموقف السلبي والمطابق للرؤية الإيرانية ، من ملايين العرب في الأحواز الذين يشكلون الجناح الآخر للخليج العربي ، هي أحد «تجليات» رؤيته السياسية التضامنية مع القيادة الإيرانية ، ورغم التجربة المشعشعية التي هي أول إمارة عربية في العصر الحديث ، ومنذ ٤٠٠ عاماً تقريباً ، ورغم التفريس للبشر عبر الإحتلال وتوطين الفرس الذين قارب عددهم المليون فارسي ، ومصادرة الأرض الأحوازية لصالح تفريسها ، ونقل المياه العربية إلى أصفهان ورفسنجان وسيستان، وغيرها ، وذلك في الأحواز المظلوم فعلاً ، والذي إحتلته إيران في العام ١٩٢٥ ، وربما كان تعاطفه مع الموقف السياسي الإيراني يرجع لسبب آخر يتعلق بالتسمية الأوربية الاستشراقية للمفاهيم السياسية الخاصة : كـ«مفهوم الشرق الأوسط

والأدني والخليج الفارسي» ، أو ربما بمبرر يردده الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل يتجلى بـ«الهدف الإستراتيجي في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

الحرب «السنية الشيعية» وصراعاتها المتوقعة ودورها في دعم وجهة النظر الغرب الأمريكي ، ورغم النفخ في هذه المفاهيم المذهبية لم تنشط إلا في أعقاب انتشار الرؤية الصفوية التي تتخذها إيران منذ قيام ثورتها في ثمانينات القرن الماضي ، وكم ونوع الفضائيات والإذاعات التي تروج على المكشوف للرؤية الطائفية ، وكذلك كثافة الصحف الموالية للرؤية الصفوية وخصوصاً المجانية ، وأموال الرشوات المدفوعة عبر مسارب متنوعة من بينها أموال الخمس وحقوق المؤمنين بالمهدي المنتظر الذي سيقتل عند ظهورة تسعة أعشار العرب ، وغيرها الكثير الغزير ، والسّب العلني للصحابة بما فيهم الخلفاء الراشدين : الثلاثة الأوائل ، وأمهات المؤمنين ، وتكفير أربعة أخماس المسلمين الذين سيمسون مخلدين في نار جهنم وفق أقوال السيستاني وأسلافه العلماء الفرس ، وهي كلها نشاطات دعوية وتحريضية مقرونة بطباعة آلاف الكتب وصدور مئات الفتاوى ، والتمدد الطائفي في الدول العربية الإسلامية في مشرق الوطن العربي وشمال أفريقيا التي تتخذ من الطعن والسّب خطوطاً فكرية وسياسية لها ، وكلها ذات دلائل مشهودة ، ومع ذلك ، فإنَّ السيد الأستاذ هيكل لا يلتفت إليها بكلمة نقدية واحدة ، رغم كونها تستثير ردود فعل واسعة من قبل بقية أصحاب وأنصار المذاهب الإسلامية من غير المدرسة الإثنا عشرية ، وتغدو مجموع هذه المواقف الإيرانية بمثابة «العثة» التي تنخر بالجسد الإسلامي كله ، وليس في الوطن العربي فحسب ، وربما كان تبرير السيد هيكل هو أنَّ «الهدف الإستراتيجي في الحرب على إيران ما زال ماثلاً» .

اليوم يمضي عقدان ونيف من السنوات على رؤية الأستاذ محمد حسنين هيكل الإستراتيجية : العدوان القادم على إيران ، وأجزاء الوطن العربي تغدو محتلة أمريكياً وبشكل مباشر قطعة قطعة ، ورغم الدلائل العديدة حول تقاسم

النفوذ بين المحتلين الأمريكيين والإيرانيين في العراق ، والذي كان من بين أبرز دلائله زيارة رئيس جمهورية إيران للقصر الجمهوري الذي يقع تحت هيمنة القوات الأمريكية : قواتها التي تحرص على شمشمة كلابها لنواب ما يسمى بالبرلمان العراقي ، كلما دخل أحدٌ منهم المنطقة الغبراء التي يقع فيها القصر الجمهوري الذي زاره نجاد ، وحديث الأستاذ هيكل ما يزال متواصلاً عن «الهدف الإستراتيجي» ، كما شاهدناه في تلك الحلقة .

فهل ينطوي الأمر على «ولاء سياسي ما» للرؤية الفارسية الصفوية التي طالما «يتغنى» بها القادة الإيرانيون ووليهم الفقيه خامنئي ؟ أم أننا ـ كما هو شأن البعض الآخر ـ نتعمد رؤية جانب واحد من الصورة الكلية لمفاهيم الصراع السياسي والإستراتيجي في المنطقة وعلى المنطقة ؟ أم أنّ المثال السياسي لإدارة شؤون البلاد بما فيه أسلوب الإنتاج والمساواة بين أفراد الشعوب الإيرانية ، والحياة السياسية «الديمقراطية جداً» [!] لكافة أفراد الشعوب الإيرانية المتنوعة القوميات، هو البرنامج السياسي الجاذب للخير العميم ، والمثال السياسي المُرتجى ، أو ربما وخصوصاً عند مدعي الفكر السياسي الناصري . وبعض تجاره ، فقد يكون الذهب اللامع الذي يعشي الأبصار هو مناط الجائزة المنتظرة ؟ ! .